روايات عبير الجديدة

اليزابيت غراهام

الفيضان

www.elromancia.com

مرموزية

٢٦٢

الفيضان

اليزابيت غراهام

علمت داني بوفاة جدها، فقررت الذهاب الى كندا لكي تطالب غرانت كينغ بنصيبها من الميراث، ولكنها تعرضت لحادث في طريق وعرة قبل وصولها الى المزرعة، ووقعت سيارتها في حفرة مليئة بالوحول.

انقذها رجل فاتن، وعرض عليها استضافتها في كوخه البدائي!.

لم يكن لدى داني خيار آخر، وادركت بسرعة انه هارب من القانون، ولكن لماذا يعيش هنا في هذا المكان المعزول؟ وكانت تلاحظ انه لطيف، وحنون، ومع ذلك كانت تخاف منه ولا تثق به.

- ١ -

«عزيزتي داني، هذا جنون! فأنت لم تذهبي من قبل الى كندا، وها انت تقررين الذهاب بمفردك في السيارة...!».

لا تزال كلمات السيدة بنسون ترن في أذني ابنتها وهي في طريقها من لوس انجلوس الى كندا، وهي تفكر بالاتجاه الجديد الذي ستسلكه حياتها.

وكانت السيدة مارشا بنسون تزداد سوءاً يوماً بعد يوم وهي اسيرة كرسيها المتحرك الذي جمعت ثمنه بصعوبة، وكانت تتابع علاجاً طويلاً ومكلفاً!.

ومرة ثانية... وفي سكون غرفتها في الفندق، في هذه الليلة، عادت داني تفكر من جديد بالظروف التي اضطرتها لهذا السفر المتعب، وكانت قد استلمت رسالة تعلن وفاة

جدها، وهذه الرسالة لم تتكلم عن ميراثه، ولكن داني كانت تعلم انها الوريثة الوحيدة لجدها، الذي كان يملك مزرعة تبلغ مساحتها مئات الهكتارات.

وليس من المدهش ان لا يكون جدها هنري بنسون، قد ترك وصية قبل وفاته، وكان بعد وفاة زوجته يعيش حياة تسكع، وعهد بتربية ابنه والد داني لعمته المسنة، والتي شجعته على متابعة علومه، لكنه لم يعش طويلاً لكي يحقق احلامه.

وكانت الحياة جميلة وهادئة بالنسبة لهذه العائلة، وبعد وفاة والدها واجهتها مشاكل صعبة هي والدتها، وتخلت الفتاة عن فكرة متابعة دروسها العالية، لحسن الحظ، كانت جميلة جداً، واصبحت عارضة ازياء.

ثم عقدت حاجبيها، فقط لو ان امري هادرن، مدير الوكالة، لم يقل لها شيئاً قبل سفرها بقليل.

«ان جمالك برىء يا ابنتي، ولكن هذا لا يناسب موضة العصر، والآن يريدون الفتيات المثيرات، اللواتي يعرفن الحياة اكثر...».

وتأمل وجهها المستدير الطفولي، وعيونها الزرقاء الصافية، ثم اضاف: «انا اقسم بأنك لم تتعرفي على رجل من قبل! وهذا يمكن تدبره، انت تعرفين! ويكفي ان تظهري بعض اللطافة مع بعض الرجال المهمين، ومهنتك تساعدك!».

«لا، حقاً، شكراً!».

داني كانت بريئة، ولكن ليس لهذه الدرجة، وفهمت

جيداً مغزى كلام امري... ولكن اذا كانت براءتها لا تعجبهم، فكيف ستكسب حياتها؟ فهي لا تعرف مهنة اخرى... وغفت اخيراً من شدة التعب، وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي، استعادت تفاؤلها، وتناولت فطورها في مطعم الفندق، وسألت الخادم عن وجهة سيرها، نصحها بسلوك طريق الساحل باتجاه الشمال، وقال لها: «انها اطول من غيرها، لكنها تمتد على مناظر رائعة!» وكانت داني مستعجلة للوصول الى هدفها، لكنها ايضاً، بحاجة للتفكير بما ينتظرها في نهاية رحلتها، فقررت اتباع نصيحة هذا الخادم...

وكانت الرسالة التي وصلت تخبر بوفاة هنري بنسون وهي موقعة من السيد غرانت كينغ من كوبر كانيون، وتذكرت داني آخر جملة فيها: «كوني مطمئنة الى ان كل شيء تم بإرادته، وانا آسف جداً على خسارة صديق عزيز جداً علي» وانقبضت يدا الفتاة على المقود «صديق عزيز جداً».

للحقيقة! قد يكون السيد غرانت هذا يجهل ان جدها هنري كان يكتب احياناً لأرملة ابنه، ويخبرها عن رغبته في اتخاذ شريك... ويبدو ان هذا الشريك استغل العجوز كثيراً. الآن، بإمكانه ان يعتبر نفسه كملكاً للمزرعة! ولكنه لن يتأخر في تغيير موقفه.

ولم تكن داني تعرف الكثير عن القوانين، وخاصة القوانين الكندية، ولكن يجب ان تطلع عليه، فهي بالتأكيد تملك حقاً في هذه المزرعة، ولقد صممت على الكفاح

حتى النهاية، ليس فقط من اجلها، بل من اجل والدتها مارشا، فنسبة قليلة من قيمة هذه المزرعة ستكون كافية بدون شك لدفع نفقات معالجة السيدة بنسون، وكانت السيارة السبور التي قدمتها لها احدى الشركات التي كانت معجبة بخدمات داني، كانت تقطع الطريق دون اية متاعب.

وكل مساء، كانت داني تتصل بوالدتها من الفنادق المتواضعة التي تتوقف فيها لقضاء الليل، وكانت والدتها قد بقيت في المنزل في بالما سبرينغ مع اختها.

في اليوم الرابع، توقفت داني في آخر مرحلة لها في كملوب، في جنوب كولومبا البريطانية، ولقد اصبحت قريبة من هدفها، وفي الصباح ملأت خزان سيارتها بالوقود، وقال لها الموظف في المحطة: «الطريق مليئة بالفيضانات بالتأكيد...».

«لا سبيل للعودة، وخاصة بعد كل هذه المسافة» اجابته باصرار «فعندنا ايضاً في كاليفورينا تحصل فياضانات ايضاً».

«لكنها ليست بمثل هذه القوة» الح الرجل الشاب.

«سوف نرى...».

وبعد دقائق تابعت سيرها، وكانت الشمس مشرقة في سماء نيسان.. وبعد خمسة ساعات ستصل الى كوبر كانيون، ولم تكن بحاجة للتوقف لأنها تحمل معها بعض السندويشات والقهوة.

وبعد الظهر تركت الطريق الساحلي، وسلكت طريقاً

ضيقة فوق الجسور الضيقة التي تعلو الجداول العديدة، وبعد قليل، توقفت داني لتتناول سندويشاتها قبل متابعة الطريق.

وبعد مسافة قصيرة، بدأت تقلق، ان دواليب سيارتها، بدأت تغرز في الوحول، واصبح من الصعب عليها السيطرة على المقود، ونسيت الوقت وتاهت عن تحديد المسافات، وكانت الشمس قد بدأت تختفي خلف الغيوم الثقيلة المنخفضة، وفجأة بدأ المطر ينهمر.

«اوه، لا!» ونظرت الى ساعة يدها، انها الثالثة والنصف... والجو اصبح وكأننا في الليل، وحاولت داني ان تتابع سيرها، فادارت المحرك وداست على دواسة السرعة، فانطلقت سيارتها بسرعة وتوقفت فجأة في حفرة كبيرة، وآخر صوت سمعت داني، كان ارتطام رأسها بعنف بالدراءة الواقية من الصدمات...

وعادت الى الواقع على صوت رجل غاضب، ففتحت عينيها بصعوبة.

انها في سيارتها، هذا شيء اكيد، ولكن لماذا سيارتها منحية؟ ولماذا يجر حصان سيارتها؟.

واحست بصداع كبير، وحاول عقلها تمييز ما يحصل امامها، وفجأة سمعت ضجيج المعدن، ووضعت يديها في اذنيها.

«لا، لا».

فتوقف الضجيج: «لا تخافي» طلب منها الرجل المجهول «لا تتحركي، سآتي لأخراجك».

على كل حال، لم يكن بإمكان داني القيام بأية حركة، وبسرعة اقترب الغريب ووضع ركبته على المقعد ومد يديه نحوها.

«أيؤلمك شيء آخر في جسدك غير رأسك؟».

«لا... لا اعتقد».

ثم جرها الرجل نحوه، فتعلقت بعنقه، وبلحظة وجدت نفسها خارج السيارة بين ذراعي هذا الغريب، وكان المطر يتساقط بقوة على وجهها، فخبأت وجهها بعفوية على كتف منقذها، واحاطته بيديها بقوة، واحست بأن قدمي الرجل تغرزان في الوحل، ورأت الحصان يقف على بعد خطوات منها.

«ايمكنك التمسك جيداً، اذا وضعتك على ظهر جوش؟».

«جوش؟» رددت داني بدهشة.

«الحصان... انه ليس مؤذياً».

«انا....».

ورفعها على ظهر الحصان، ثم ركب خلفها على السرج المبلل، وفكرت داني بهذا الوضع المحرج، ولكن لا يبدو على هذا الرجل اي اثر لخلفيات سيئة.

«الى اين تصطحبني؟» سألته بقلق عندما ادركت حقيقة الواقع.

«الى مكان يمكنك ان تنشفي ملابسك فيه، وان تتدفيء قليلاً» اجابها وهو يقرب فمه من اذنها «ولكن الى اين كنت ذاهبة؟».

«الى مزرعة كوبر كانيون، هل هي قريبة من هنا؟» وشعرت فجأة بأن الرجل اضطرب قليلاً.

«أهم ينتظرونك؟».

«لا، انا....».

وشيء من الحذر دفعها لأن تسكت، لا يجب ان تخبره انه لا يعلم احد بوجودها في هذه المنطقة...

«اعني، انني لم احدد لهم ساعة وصولي، قلت فقط انني سأصل اليوم، وارجو ان لا يقلقوا علي...» فضحك الرجل ضحكة غريبة.

«الجميع هنا يعلمون انه لا يوجد مجنون يمر في هذه الطريق في موسم ذوبان الثلوج، وهذا لا يشبه ابداً ربيع كاليفورنيا».

انتفضت داني «وكيف عرفت من اين انا قادمة؟».

«من لوحة سيارتك...».

ارتاحت داني، واسندت ظهرها على صدر الرجل، على كل حال ليس لديها خيار آخر، فالسرج لا يتسع لشخصين، وسيجرحها اذا حاولت الابتعاد قليلاً.

وفكرت فجأة بوالدتها التي حاولت جهدها لكي تمنعها من القيام بهذه الرحلة وحدها، وسالت الدموع على وجهها، انها تشعر حقاً بالضياع في هذا المكان المنعزل... وامام عينيها تراقصت صور فيلم سينمائي شاهدته مؤخراً، حيث الدببة والذئاب الذين يلتهمون المسافرين التائهين.

كيف يمكن العيش في مكان من هذا النوع؟... ومن

المؤكد ان منقذها يسكن فيه، فهو يجد طريقه بدون تردد وسط هذه المنطقة الموحلة، ولكن كيف يعيش؟ من الصيد؟.

«ها قد وصلنا» قال لها فجأة.

فلاحظت داني الى جهة اليسار بيت نصفه مهدم، وسقفه منحنياً قليلاً بشكل خطير.

«اهنا تسكن؟» سألته بدهشة وبصوت مرتفع، والتفتت نحوه، وكان يضع على رأسه قبعة عريضة الاطراف.

«انا آسف... ابقي هنا ريثما اشعل المصباح» ثم قفز بسرعة عن ظهر الحصان، وتركها فريسة لمشاعر القلق، ودخل الى البيت، والحصان ادرك انه وصل، فأخذ يتمايل لكي يتخلص من داني التي لا تزال على ظهره...

- ٢ -

اضاء نور في احدى النوافذ الصغيره. ومرت لحظات طويلة قبل ان يظهر الرجل من جديد، واخيراً عاد وحمتها بين ذراعيه وانزلها الى الارض.

«بإمكانك الدخول، وسأنضم اليك بعد ان اهتم بالحصان».

اتجهت الفتاة بسرعة نحو الباب، ولكنها توقفت على العتبة وجحظت عيونها.

وكان الضوء الذي اشعله الرجل على طاولة مربعة في وسط الغرفة، وهناك ايضاً مدفئة قديمة وكنبتان قديمتان، وسرير قديم..

كيف يمكن لكائن بشري ان يعيش في هذا المسكن المتداعي؟ ارتعشت الفتاة وتساءلت، هل هذا الرجل هارب

www.elromancia.com

من العدالة؟ واحست بالخوف فجأة، قد يكون لصاً او مجرماً... وتراجعت للوراء، وخنقت صراخها عندما اصطدمت به خلفها.

«لا تلمسني!».

وكان قد وضع يده على ذراعها، فأسرعت وبقفزة واحدة اصبحت داخل الغرفة، فابتسم الرجل ولم ينزعج في ردة فعلها، واغلق الباب وراءه بهدوء.

«ايجب علي ان اذكرك بأنني لمستك وانا اخرجك من السيارة، وعندما رافقتك الى هنا؟».

وعلى ضوء المصباح ظهر قوامه اكثر قوة.

«انا... لم اكن منتبهه، ولم اكن اعلم انك تصطحبني الى... هنا».

«وما الذي لم يعجبك... هنا؟» سألها بسخرية ثم غلق قبعته.

فلاحظت داني شعره البني، ثم خلع معطفه، فدهشت داني عندما رأت قميصه الناصع البياض، وبنطلونه الكحلي، بالتأكيد هو ليس متسكعاً، واحتارت بأمره، لا بد انه رجل يختبىء عن العالم...

وعندما نظر اليها، ازدادت دهشتها فذقنه التي لم يحلقها منذ ايام لا يمكنها ان تخفي جمال ملامحه، وانفه وفمه الجميلين.

«سأشعل النار» قال لها بهدوء وهو يمر بقربها.

فجلست داني كالمصدومة، وتبعته بنظراتها، ان عينيه سحرتها اكثر من اي شيء آخر، عينان غامقتين من شدة

سوادهما، وكأنهما قادرتين على قراءة ما يجول في اعماق اعماقها...

واحست بأنها ترتجف، فنظرت اليه من جديد، وكان منحنياً فوق المدفأة الحطبية وهو يركز كل اهتمامه على اشعال النار، يبدو انه من اولئك الذين يربحون دائماً، والذين يصدرون الأوامر...

وحتى اذا تمكنت من مغادرة هذا البيت، فإلى اين ستذهب؟ وفقدت كل قدرة على التركيز، وازداد خوفها من هذا الرجل الذي نهض فجأة وهو راض عندما بدأت النار تلتهب في المدفأة.

واخذ الرجل يراقبها، وانتبهت الفتاة فجأة الى منظرها وحالتها، بهذا الشعر الاشقر المبلل الملتصق بخديها، وكان معطفها مبللاً جداً.

«يجب عليك ان تخلعي ملابسك» قال لها الرجل وهو يتأملها فشدت داني ملابسها جيداً حولها.

«لا، لا ضرورة لذلك!» اجابته بحزم فالتفت نحوها وقال بحدة.

«اذا كان هناك شيء، لست بحاجة اليه، فهو وجود امرأة مريضة عندي! اخلعي ملابسك فوراً، والا سأتولى ذلك بنفسي!».

«لن تجروء على ذلك!».

«اهذا تحدي؟» سألها ممازحاً وهو واثق من تفوقه «اذن؟» فركت داني يديها بتوتر.

«انا... سأخلع معطفي فقط، لأن ملابسي الاخرى

ناشفة» وتفاجأت عندما رضي عن رضوخها والتفت نحو الخزانة التي تعلو المغسلة في نفس الغرفة، واخرج منها علبتين.

«لحم عجل... وفاصوليا خضراء» قال لها وهو يتفحص العلبتين «موافقة؟».

«عفواً؟ اوه... لا تتعب نفسك، اذا كان بإمكانك فقط ان توصلني الى كوبر كانيون، انا متأكدة انهم...».

فضحك الرجل وقاطعها قائلاً: «الافضل لك ان تنسي كوبر كانيون الآن، ولمدة ايام ايضاً، فالطرقات مقطوعة، ولا يمكن ارسال فريق النجدة للبحث عنك».

«لقد اخبرتك انهم بانتظاري» الحت الفتاة.

«اشك بذلك، فهم لا ينتظرون احداً، حتى ذوبان الثلج، حتى اقرب صديقات غرانت كينغ لا يخاطرن بذلك، ولهذا السبب انا متأكد انك مخطئة، فهو لا ينتظرك، والا لكان جاء الى كملوب، لاستبقال شخصية... رائعة مثلك» قال لها وهو يتأمل وجه وقامة الفتاة بجرأة كبيرة، فأخذت الفتاة تفكر بسرعة، فاذا اعترفت له بسبب وجودها هنا ستكون تحت رحمته، ومن جهة اخرى، اذا...

«حسناً» واخفضت رأسها «غرانت لا ينتظر وصولي قبل اسبوع او اسبوعين، ولكن... بالنسبة للخطيب هو لم يفكر بالفيضانات، فأنت تعرف... هل انت متزوج سيد...؟».

قطب الرجل حاجبيه عندما سمعها تتكلم عن خطوبتها

لغرانت كينغ، لكنه اكتفى بالاجابة ساخراً: «هل ترين امرأة في البيت؟».

«قد تكون تركتها في مكان ما...».

«لا، فاذا كان لدي زوجة، فكانت ستقاسمني سريري ومنزلي» احست داني فجأة بالارتباك.

«هذا ليس فندقاً ضخماً» اجابته باحتقار في صوتها.

«هذا هو السبب بدون شك الذي يجعل النساء لا ترغبن بي» قال بمرارة «وانا افضل الامرأة التي تعجبها طريقة عيشي».

وكان قد سخن الطعام، وناولها طبقاً مليئاً.

«هذه آخر علبة عندي، وبعد ذلك سنكتفي بما التقطه في الفخوخ وبما اصطاده ببندقيتي».

اذن هو صياد مخالف! وهي لا تريد البقاء طويلاً معه.

«وبعد ذلك، سأكون اتناول عشائي في كوبر كانيون!».

فهز رأسه باستخفاف.

«لا! لن تصلي الى المزرعة قبل اسبوع او اكثر».

«انا لا اصدقك. فنحن لا يمكن ان نكون بعيدين جداً عن كوبر كانيون!» اعترضت داني.

«كيلو متر واحد هو مسافة كبيرة في مثل هذا الوقت، لقد تهدم جسران، وهم لا يجدون اليد العاملة لأصلاحهما، فالأفضل لك ان توافقي على مشاركتي في غرفتي».

«لا!» صرخت داني وهي تنظر الى السرير الوحيد «انا... انا سأرحل وحدي اذا رفضت مساعدتي».

«لا تكوني غبية!» قال لها بقسوة «فأنت لن تخرجي».

كانت داني تعلم انه محق، كما وانها لا يمكنها الوقوق في وجهه فنهض ولاحظت من جديد كم هو قوي، ولم تستطع منع نفسها من النظر مرة ثانية الى السرير، ولاحظ الرجل ذلك.

«لا تقلقي» قال لها مبتسماً «فأنا لا اقوم بمحاولات الا اذا كنت متأكد انها ستلقى ترحيباً مناسباً».

... وهو ما يحصل دائماً، فكرت داني رغماً عنها، وتأملت من جديد وجه الرجل الجميل وقوامه الفاتن.

«الا تحلق ذقنك ابداً؟» سألته فجأة.

«فقط عندما يكون ذلك ضرورياً...».

فهمت داني ما يقصده.

«اذن هذا لايحصل كثيراً، بدون شك، لا يوجد الكثير من النساء في هذه المنطقة».

فابتسم الرجل وظهرت اسنانه البيضاء.

«هذا صحيح، ولكنني اهتم بالنوعية اكثر من اهتمامي بالكمية».

مرة ثانية، احست داني بالارتباك الغريب.

«ماذا تعمل في الحياة؟» سألته فوراً لتغير الموضوع.

«القليل من كل شيء...».

«هل انت صياد مخالف؟».

وتذكرت مشاهد فيلم انطلقت فيه الشرطة للبحث عن المجرمين مع مثل هذا الرجل، لا يمكن للشرطة ان تكسب! وتأكدت هذه المرة من ان الرجل هو هارب من شيء ما، والا لماذا يختبىء في هذا المكان؟ ولكن اسلوب

كلامه يدل على انه تلقى ثقافة عالية، وملابسه تتناسب مع الموضة...

«انا اصطاد احياناً، نعم فهذه هي الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة، في هذا الوضع».

«هذا الوضع!» بالطبع فرجل تلاحقه السلطات يجب ان يهرب من العالم المتمدن.

«ما هو اسمك؟».

«نادني بيرت».

«فقط... بيرت؟».

«لا اهمية للاسماء هنا» ولم يطرح عليها نفس السؤال فنظرت اليه بجفاف وقالت له: «بهذه الحالة، نادني داني».

«داني... هذا اسم غريب بالنسبة لفتاة».

«كان والدي يسمى دانيال» شرحت له بايجاز «الا تحب ان يحمل ابنك اسمك؟».

«اسمي لن يستعار ابداً» اجابها ببساطة «والآن اخبريني عن سبب وجودك هنا، فأنا لا اصدق بأنك تعرفين غرانت كينغ، كما وانني لا اصدق انك مخطوبة له».

فنظرت اليه بدهشة، لكنه اضاف بكل هدوء.

«الاخبار تنتشر بسرعة في الريف، فاذا كان كينغ على وشك الزواج، لكنت علمت بذلك، اذن؟».

لشدة خوفها ودهشتها، لم تستطع داني التفكير اكثر فرفعت يدها الى جبينها الذي يؤلمها.

«لن يفيدك اختراع قصة اخرى!» صرخ وقد فقد صبره،

«وقولي لي الحقيقة».

«حسناً... حتى موته، في شباط الماضي، كان جدي يملك مزرعة كوبر كانيون...».

«هو... ماذا؟».

داني لاحظت دهشة الرجل.

«هنري بنسون، يجب ان تكون تعرفه، اذا كنت تعرف غرانت كينغ».

«بالتأكيد، كنت اعرف هنري بنسون، كان رجلاً رائعاً، وهو لم يكن يحكم على الناس حسب مظهرهم، ولا حسب ماضيهم، نعم، كنت احبه كثيراً».

ارتاحت الفتاة قليلاً، اذا كان بيرت يحب هنري فهو لن يؤذي حفيدته...

«كانت المزرعة لجدي» اجابته الفتاة «وبعد ذلك وصل هذا السيد غرانت كينغ الذي احتال الى ان جعل منه شريكاً له، الآن اصبح هو المالك، ولقد جئت لكي نستعيد حصتنا في المزرعة».

«نحن؟».

«امي وانا، وهي...».

- ٣ -

عضت داني على شفتها، فهي لا تريد ان تعترف بأن هنري بنسون حرم عائلة ابنه الوحيد من الميراث.

«نحن نريد ما هو حقنا» اضافت وقد رفعت رأسها بكبرياء.

«ارى... لقد جئت لكي تجبري كينغ على التخلي عن قسم كبير من المزرعة».

«تقريباً!».

ارتسمت ابتسامة على وجه بيرت.

«قد تجدين صعوبة في اثبات ان هنري كان يملك اكبر قسم من المزرعة في ذلك الوقت لم يكونوا يهتمون ابداً في توقيع الاوراق...».

«من الواضح ان كينغ فعل ذلك عندما حصل على

www.elromancia.com

المزرعة، ولكن سأعرف كيف اثبت انه مخادع» اضافت وعيونها تقدح شرراً من الغضب فنهض بيرت وقال بكل بساطة: «لقد حان موعد النوم».

القت داني نظرة انزعاج نحو السرير.

«لا تقلقي» قال لها بيرت ساخراً «انا سأنام هنا» واشار الى باب كانت داني قد اعتقدته يؤدي الى الحمام.

«في الحمام؟» سألته بدهشة.

بدا على وجه بيرت انه يتسلى كثيراً، واخذ يراقبها وعيونه تلمع من الفرح.

«انت لست في فندق حديث» قال لها مبتسماً «فغرفة الحمام توجد في... الخارج».

«اوه... جيد جداً، سأجدها».

«هذا سيدهشني، سأرافقك».

اسرع وتناول معطفها ووضعه على كتفيها، وفي الظلام ارشدها بيرت الى كوخ في الخارج وفي طريق العودة كانت قد اعتادت على الظلمة، فرفضت يده، لكنها عندما تعثرت رجلها شعرت بسعادة عندما امسكها وجنبها الوقوع، وفجأة وجدت نفسها بين ذراعيه.

«انا... بإمكانك الآن ان تتركني» همست وارتبكت كثيراً.

«حقاً؟».

ولامست اصابعه ذقنها، فأدركت انه سيقبلها... وما ان التقت شفاههما حتى فقدت كل احساس مع الواقع، ان هذه القبلة اربكت كيانها ولم يعد يهمها سوى هذا الفم

الحنون العذب وهذا الجسد الممتلىء وهاتان الذراعان اللتان تضمانها، واخيراً رفع بيرت رأسه.

«الافضل لنا ان ندخل قبل ان افقد السيطرة على نفسي» عادت داني الى الواقع.

«يبدو لي ان هذا ما حصل فعلاً!».

«من اجل قبلة واحدة؟ اتجهلين ان التتمة هي اكثر لذة؟».

«انا اعرف الحياة جيداً!» قالت وهي تدير له ظهرها، «ولكني اعتقد ان لكل انسان حق في اختيار...».

«... شريكه؟» اقترح بهدوء وهو يسير خلفها، «ولو كنت لاعباً لكنت راهنت بأنك اخترتني قبل رحيلك» فوقفت داني ونظرت اليه بغضب.

«آه، حقاً! حسناً، انا آسفة لأنني خيبتك، ولكني غداً سأرحل بعد هذا ستتفق انت مباشرة مع غرانت كينغ».

«لماذا تعتقدين بأنه سيرغب في مساعدتك» سألها بسخرية «اتصور انه لم يتأخر في التخلص من وريثة شرعية؟ لا، الافضل لك ان تبقي معي، سأجد وسيلة لتحقيق حلمك بأن تصبحي مالكة المزرعة الكبيرة...».

«هذا ليس حلماً، كينغ لا يملك سوى جزءاً صغيراً من المزرعة والباقي كله لنا».

«اوه، سترين جيداً، بعد كل...».

ودخلا الى المنزل وجلست داني على احدى الكنبات القديمة.

«سأقضي الليلة هنا» قالت له.

«نامي على السرير، ولا تقلقي، فيوجد سرير آخر في الغرفة المجاورة وانا لن اضايقك».

ارتاحت داني وكانت بحاجة ماسة للنوم كي تستعيد قواها الجسدية والنفسية ايضاً.

«احتاج الى اغراضي، وهي لا تزال في السيارة».

«هذه الليلة، بإمكانك النوم عارية او بملابسك هذه» اجابها بدون مبالاة.

«سأنام في ملابسي، اذن».

«كما تشائين، تصبحين على خير» ثم دخل الى الغرفة المجاورة.

وسمعت داني صوت بوطه يرميه على الارض، وبعد لحظات سمعت صوت انفاسه المنتظمة، وعندئذ فقط، قررت ان تترك الكنبة واصبح بإمكانها الأن ان تغسل وجهها وتنام، وعندما فتحت حنفية الماء التي فوق المغسلة، لم تجد فيها ماء... لا، هذا كثير، وتوترت اعصابها وبدأت بالبكاء.

وندمت لأنها لم تستمع لكلام والدتها! والا لما كانت تجد نفسها الآن اسيرة في كوخ بدائي ومع خارج عن القانون خطير!...

لأنه من الواضح جداً انه يختبيء هنا...

وعندما استلقت على السرير، حاولت ان تتذكر كلماته لتستخلص بعض الاستنتاجات عنه، و لكنها كانت متعبة جداً، واطبقت جفونها بسرعة على عيونها الزرقاء...

ونامت نوماً عميقاً، واستيقظت في الصباح على رائحة

القهوة اللذيذة.

«اتحتاجين لفنجان قهوة لكي تتمكني من فتح عينيك؟».

وعندما سمعت صوته، عادت بسرعة الواقع، ورأت بيرت، يرتدي بنطلوناً وقميصاً باج، ومنحنياً فوق المدفأة وعندما التفت نحوها، تلقت صدمة، لقد حلق ذقنه، وظلت بحالة ذهول وهو يناولها فنجان القهوة الساخن.

وتذكرت داني فجأة انها شبه عارية، فرفعت بسرعة الغطاء بيدها.

«شكراً لك» واخذت الفنجان من يده.

القى بيرت نظرة ساخرة الى الملابس المطوية بشكل مرتب على الكنبة.

«كم الساعة الآن؟» سألته داني بصوت هادىء.

«وما اهمية ذلك؟» قال لها وهو يهز كتفيه.

«هذا مهم بالنسبة لي! لأنني اريد الذهاب الى المزرعة بأسرع وقت ممكن، والسيد كينغ سيكون بالطبع ممتناً لك اذا رافقتني اليها اليوم».

نظر اليها بيرت ببرودة.

«لا سبيل لذلك! فالجسور ليست صالحة، فالافضل لك ان تقبلي بقضاء اسبوع معي هنا على الاقل...».

جلست داني بسرعة، وانزلق الغطاء قليلاً عنها، لكنها لم تهتم به.

«هذا مستحيل! يجب ان تفهم ذلك حتى انت!».

«حتى انا...؟».

«اسمع، انا لا اعرف من انت ولا لماذا تختبىء هنا، ولكنني اريد الذهاب الى كوبر كانيون!».

«. . . لاسترداد حقك».

«اذن؟» قالت له بحدة «سيعطيني كينغ ما يعود الي، او انه سيواجه متاعب!».

فهز بيرت رأسه.

«انه ليس من الرجال الذين يتأثرون!».

«للأسف، انت تعرفه، اليس كذلك؟» اضافت بفضول.

«كيف هو؟».

«طبيعي، انه رجل من عالم الرجال، وهو لا يهتم كثيراً بالنساء».

«ألأنه لا يوجد الكثيرات في هذه المنطقة؟».

«هذا ممكن. . . فأنا لا اعرفه جيداً».

«ماذا حصل. . . وجودك في هذا الكوخ؟».

«وماذا تقول له؟».

«انني بحاجة للعزلة قليلاً عن الحضارة» اجابها باختصار. . .

«يوجد ماء ساخن فوق المدفأة، سأخرج قليلاً لأهتم بجوش، وستكونين هادئة».

ظلت داني للحظات تفكر، فجواب بيرت له تفسيرات مختلفة، لكنه من المؤكد انه اختار المكان المثالي للاختباء في هذا البلد البدائي، لا يطرح احد اسئلة. . . هذه الفكرة اراحتها، واذا كان بيرت يواجه مشاكل مع العدالة، فهو لن يخاطر بحبس امرأة. . .

ارتعشت داني، فلا احد يعرف مكانها، ولا يعرف احد انها حبيسة هنا مع رجل قد يكون ارتكب عدة جرائم! واسرعت وتناولت ملابسها، يجب ان تبتعد عن هذا الرجل الغريب، وقبلة ليلة امس كانت انذاراً، ورغم خوفها، لم تستطع داني ان تمنع نفسها من الاستجابة لعناقه، فاحمر وجهها من جديد، ان غريزتها الانثوية خانتها. . .

ثم نهضت وخبأت وجهها بيديها، وبعد قليل عاد بيرت.

«الديك حقيبة في سيارتك؟» سألها فور دخوله الغرفة.

اشارت له برأسها، فأخذ مفاتيح سيارتها الموجودة على الرف.

«اين وجدتها؟» سألته بدهشة.

«في السيارة، أكنت تفضلين ان اتركهم فيها؟ اليس من المحتمل ان يسرق احد ما اغراضك. . .؟».

جحظت عيون داني، فهذا الكلام يترك احتمالاً في امكانية وجود سير. . . في هذه الحالة سيتساءلون اين ذهب سائق هذه السيارة، وسيقومون بالبحث عنها. . .

«لا تفرحي كثيراً بسرعة» قال لها هازئاً «فالمارة الوحيدون، هم من اللصوص. . . لن يقلقوا عليك. . . حسناً، سأذهب لأحضر اغراضك».

«وماذا سأفعل في هذا الوقت؟» اخذ بيرت يضحك.

«لماذا لا ترتبين البيت قليلاً؟».

«لا، لا انوي ذلك. . .».

«اذا كنت تريدين العيش في المزرعة، يجب عليك ان

www.elromancia.com

تعتادي على كل الاعمال، حتى الاعمال المنزلية!».

فنظرت داني اليه بدهشة.

«كيف ذلك، العيش في المزرعة؟ ما ان انتهي من غرانت سأرحل للأبد».

فغير بيرت الموضوع بسرعة.

«بالمناسبة، لقد احضرت لك حقيبة يدك».

«اذهبت من قبل الى الطريق؟».

لا، لقد احضرتها مساء امس، لكنني نسيت ان اخبرك، وكنت قد تركتها على سرج الحصان جوش».

- ٤ -

نسي؟ ام انه اراد ان يتفحص محتويات حقيبة يدها بهدوء؟ ومن جديد ادرك بيرت حقيقة ما تفكر به.

«انا لم افتحها» قال لها بجفاف وهو يتجه نحو الباب «لن أتأخر».

وما ان اغلق الباب وراءه حتى اسرعت داني وفتحت حقيبة يدها وبحثت عن حافظة نقودها، انها ليست موجودة... فرمت نفسها على السرير.

اذن هو لص... وامتزجت الخيبة مع الفرح... فاللصوص لا يقتلون... الا اذا كانوا في وضع خطير، ولكن هذا سخيف! هو ليس لص صغير! بل نصاب رفيع المستوى! وتخيلته ببدلة رسمية، جميلاً ومليئاً بالحيوية...

عندما عاد، لم تتحرك، وكانت حنجرتها جفت...

www.elromancia.com

ولكن بأي احساس؟.

«ايمكنك ان تفتحي لي؟» سألها من الخارج.

وضع بيرت حقيبة داني ومعطف السفر الذي وجده ايضاً في السيارة على السرير، ثم اخذ ينظر حوله في انحاء الغرفة.

«الم تضعي الماء على المدفأة لصنع القهوة؟... ماذا حصل؟ هل بلعت الهرة لسانك؟».

«يبدو انها بلعت هذا ايضاً!» اجابته داني فظل واقفاً للحظات دون ان يتكلم.

«ما معنى ذلك؟».

«اوه، بيرت اتعتقد انني مسرورة لاختفاء حافظة نقودي...».

بدت على وجه الرجل تعابير عدم الفهم الصادقة، فاتجهت داين بانزعاج نحوه ووقفت في وجهه.

«لم يكن بإمكانك المقاومة، اليس كذلك؟».

قطب بيرت حاجبيه.

«دقيقة! افتحي حقيبتك فوراً».

ففتحت داني حقيبتها بيد ترتجف.

«الآن، افرغيها على السرير!» أمرها بحدة.

لم يكن هناك مجال للرفض، فأطاعته... وبين الاغراض الاخرى وجدت حافظة نقودها، كيف حصل ذلك؟ فرفعت نظرها نحو وجه بيرت الغاضب.

«انا... انا... آسفة لم آرها...».

«ام انك ترغبين في اثبات انني لص!... هناك شيء

واحد اريده منك» اضاف وهو يرفع رأسها نحوه باصابعه الطويلة، «وهذا لا صلة له بالمال...».

ومرر اصبعه على شفتيها قبل ان يطبق شفتيه عليها.

كان من الصعب على داني ان تفهم ما يحصل، هل ستدوم هذه القبلة للحظات، ام لدقائق؟ ودون وعي منها احاطت عنقه بيديها، ولم يعد هناك اية قيمة للوقت، وفجأة دفعها عنه بعنف.

«انك تتعلمين بسرعة» قال لها بجفاف «بالنظر فقط، تبدين بريئة جداً، ولكن بدون شك انت اكثر خبرة مما يبدو عليك، اراهن على ذلك!».

«انك تخاطر وستخسر!» اجابته داني، وقد حلت الدهشة مكان الغضب.

«اشك بذلك» قال وهو يستدير «اتريدين بعض الشوربة؟».

«لست جائعة!».

«كما تشائين، ولكني قد لا اعود قبل موعد العشاء...» فاقتربت منه بسرعة.

«هل انت ذاهب للصيد؟».

«اذا اردنا تناول العشاء، فيجب علي ان افعل، انا لا اعرف اذا كانت فتيات كاليفورنيا معتادات على التغذية، ولكن بالنسبة لي نعم... اذن، الشوربة؟».

تحملت داني نظراته للحظات، ثم اخفت نظرها.

«نعم شكراً».

«عظيم! اذن حضري القهوة، خلال هذا الوقت».

www.elromancia.com

ظلت داني طويلاً تحمل فنجان القهوة بيدها بعد رحيل بيرت، ثم نظرت الى الباب الذي كان بيرت ينام خلفه في الليل، وبفضول كبير... فضول جعلها تنسى مبادئها الاخلاقية، فتحت الباب فوجدت حقيبة نوم مفروشة على الارض، وخزانة بدائية حيث توجد ملابس بيرت فيها.

وارتعت وهي تدخل هذه الغرفة، انها باردة، واحست ببعض الهواجس المخيفة، والقت نظرة سريعة على اغراض بيرت، فلم تجد سوى ملابس عادية بالنسبة لرجل يعيش في الطبيعة، هل كانت تتمنى ان قمصاناً من الكشمير ومن الحرير؟.

ووجدت ايضاً كومود قديمة، ولم تتردد سوى للحظة قبل ان تفتح الجوارير، وكانت دهشتها كبيرة عندما عثرت فيها على شراشف قطنية ناعمة، وغطاء، وشرشف جميل كارو، ولكن لماذا لا يستعملها بيرت لجعل حياته اكثر جمالاً ولو بقليل؟ ثم عادت الى الغرفة الأولى، وفكرت انه من المفروض ومن الطبيعي ان تبدأ بالتنظيفات.

وقررت هذه المرة ان تستكشف جوارير خزانة الاطباق، فبعد كل شيء يحق لها معرفة المزيد عن الرجل الذي هي مجبرة على العيش معه!..

ووجدت فيها، خيوط وعلب ومقصات وشموع، ولم تجد اية ورقة لتساعدها وفي الطبقة العليا للخزانة وجدت اطباقاً واكواب.

فعادت وجلست على الطاولة وسكبت لنفسها فنجان قهوة آخر، اذا عرفت يوماً ما شيئاً عن ماضيه، فسيكون هذا

من فمه هو، وهذا غير محتمل وخاصة بعد مشهد الصباح! وتذكرت مرة ثانية قبلته، واحست بالنار تشتعل في خديها، لا داعي للخجل... جاءها هذا الجواب الداخلي، بشكل طبيعي وقوي، لم يسبق لأي رجل ان ايقظ في كيانها مثل هذه الانفعالات، واحست انها تحررت من كل كبت وخوف، كما تحررت من المبادىء التي ارهقتها بها والدتها.

هل موقفها يعود لهذا الوضع؟ الوحدة في وسط هذه المنطقة هي التي خلصتها مما كانت تحتفظ به طويلاً؟ لن يصدقها احد، وخاصة اصدقاؤها الشبان الذين لا يصل احد فيهم الى سحر بيرت هذا...

على كل حال، انتهى هذه كله! ولن يتكرر مرة ثانية! ثم نهضت وتلفتت حولها، ولاحظت طبقة الغبار السميكة التي تغطي كل محتويات البيت، واذا كان يجب عليها ان تعيش هنا، حتى ولو بشكل مؤقت، فيجب ان تجعل هذا المكان قابلاً للسكن.

... وبعد بضعة ساعات، وجدت داني انها نقلت الى جسدها كل الاوساخ، التي كانت موجودة في البيت، ولكن في عيونها كان يشع بريق الرضى، لأنها اجرت تغيراً واضحاً في المكان، واصبح بإمكان النور ان يخترق زجاج هذه النوافذ النظيفة، واصبحت المغسلة تلمع والرفوف تبرق من النظافة.

ولكن الذي يزيد من جمال الغرفة، هو هذا الشرشف الناعم الذي غطت فيه السرير، وكانت قد غيرت وجه

الوسادة بآخر تنظيف فهذه الليلة لن تشم تلك الرائحة الرطبة.

هذه الليلة! كيف اعتادت بسرعة على فكرة الاقامة هنا! انها كالمسحورة، وتلفتت في الغرفة، فعلى الطاولة الآن شرشف الكارو وفوقه زهرية مليئة بالاوراق الحضراء التي جمعتها داني من الخارج، وكانت قد وجدت بعض الخضار الطازجة، فقشرت البطاطا والجزر ووضعتها على نار الموقد لكي تكون جاهزة عند عودة بيرت.

وانتظرته طويلاً امام النافذة، ثم رمت نفسها على الكنبة، هل سيعود قبل الغروب؟ واذا تعثر جوش؟ واذا اصيب بيرت بجروح؟.

وادركت داني اخيراً انها لن تتمكن ابداً من التخلص من هذا البيت وحدها، فالوحول، تملأ المنطقة، وبينما كانت غارقة في افكارها، سمعت ضجة في الخارج، فأسرعت الى النافذة ورأته يجر حصانه جوش الى الاسطبل، وعندما اقترب من الباب احست بازدياد ضربات قلبها، هذا سخيف غير مفهوم، ولكنها ارتبكت كثيراً... وخاصة عندما رأت الحيوان الذي كان يحمله بين ذراعيه، ولكنه تركه في الخارج، لأنه عندما دخل كانت يداه فارغتين.

توقف بيرت امام الباب وكأنه لا يصدق عينيه.

«حسناً. انا...» والتفت نحو داني، وكانت قد غيرت ملابس الامس، واضاف باعجاب: «لم يسبق لي ان رأيت هذا المنزل مرتباً هكذا».

ولم يكن يتكلم فقط عن المنزل، وكانت داني قد نسيت تماماً الارنب الميت.

«لقد قضيت طول النهار فيه» اجابته بجفاف، ثم استدارت ولكنها كانت تشعر بنظراته منصبة عليها.

«اين وجدت كل هذه الاشياء؟» سألها بهدوء بعد صمت قصير.

«في جوارير خزانتك، اتمنى الا يكون هذا قد ازعجك» اجابته بنوع من التحدي في صوتها، فهز كتفيه.

«اذا كان هذا يسعد...» وكانت شرارة ساخرة في عيونه تقول لها بأنه يعرف، انها لم تكتشف في الجوارير ما كانت تبحث عنه، ولم تعرف شيئاً عن ماضيه ولا عن هويته.

ثم اتجه نحو الموقد حيث كانت داني قد وضعت الطعام.

«البطاطا والجزر، عظيم، مع ما فكرت به من طبق آخر!».

«اذا كنت تتكلم عن الارنب الذي قتلته» صرخت داني «فلا تعتمد علي لمساعدتك!».

«الذي قتلته؟ هذا انت من الذي يعتمدون على النبات فقط في تغذيتهم؟».

«لا، ولكن...».

«اؤكد لك ان هذا الحيوان قتل بنظافة كغيره من الحيوانات التي تأكلين منها عادة، كما وانها اللحمة الوحيدة المتوفرة لدينا، اذن...».

«سآكل الخضار فقط» اجابته بقسوة «واذا كنت تريد

اللحم المشوي، فأنت ستفعله بنفسك...».

فوضع بيرت الحطب في الموقد.

«حسناً، ولكنك بحاجة لبعض البروتيين، قبل الرحيل من هنا».

- ٥ -

احساس غريب، لم تشعر داني بالحماس لفكرة الرحيل فور اصلاح الجسور، والغريب اكثر انها تشعر ان هذا البيت الذي نظفته يخصها، على الاقل، هذا ما تشعر به.

شعرت بأن بيرت نفسه لم يكن يعيش هنا منذ مدة طويلة، ولكن اذن من الذي كدس كل هذا الغبار وهذه الاوساخ؟ هل كانت هناك سيدة تهتم بهذا المنزل؟ هل كان فيه صراخ وضحكات اطفال؟...

وكان بيرت قد خرج، وعندما عاد، كانت داني قد اعدت الطاولة فوضع الارنب المسلوخ قرب المغسلة، وانحنى يبحث عن مقلاة، وهو يتجاهل وجود الفتاة.

هكذا افضل، قالت داني لنفسها، واخذت تراقب الخضار التي لا تزال على النار، فاصطدمت ببيرت بقوة،

www.elromancia.com

فاكتفى بامسكها بين ذراعيه كي لا تقع، ولكن ببرودة وبلا مبالاة، الا ان الفتاة ارتعشت رغماً عنها، ثم اسرعت وجلست قرب الطاولة، واخذت تراقبه وهو يقطع اللحمة ويضعها في المقلاة، كيف يمكنه وبكل هدوء اعصاب ان يأكل هذا الحيوان الذي يقفز بمرح منذ ساعة على الاعشاب؟ كيف يمكنه تحمل رائحة الحريق هذه؟...

واحست بانقباض في معدتها! انها جائعة! غريب، ان رائحة لحم الارنب فتحت شهيتها! وعادت فتذكرت انه حيوان مسكين وقع في احدى مصيدات هذا الرجل.

واخيراً وضع بيرت الطبق الكبير على الطاولة.

«لست مجبرة على الأكل منه» قال لها بايجاز بسيط، وبدأ يأكل وجبته بحماس كبير، بالتأكيد، كان جائعاً! ومنذ وصولها مساء امس، لم يكن قد أكل سوى القليل.

فقدم لها بيرت قطعة من اللحم، لم تستطع داني ان تقاومها طويلاً... وبالفعل كانت لذيذة!... ولاحظت انه يراقبها، فنظرت اليه بخجل.

«لا تهتمي كثيراً» نصحها بلطف «هذا هو قانون الطبيعة، الصغار هم دائماً فريسة للكبار...».

«ليست الطبيعة هي التي اخترعت المصائد!» اعترضت داني.

فهز كتفيه: «لكن الطبيعة منحتنا الذكاء لكي نخترع» ثم اضاف بسخرية «كنت ستموتين من الجوع لو عشت في عصر ما قبل التاريخ».

«ذلك شيء مختلف، فهذا او الهلاك».

«وبهذا الوقت...؟» سألها بجدية.

ولم تجد داني حجة تقدمها له.

«كلي الآن» قال لها بهدوء.

واحنى رأسه فوق طبقه، وكانت رموشه طويلة وبلون سواد شعره الذي ينزل بشكل فوضوي على جبينه، يضفي عليه طابعاً بربرياً، فتساءلت داني بدهشة: هل ضمها هذا الرجل حقاً بين ذراعيه؟... وبينما هي تائهة في تساؤلاتها، رفع بيرت رأسه والتقت نظراتهما للحظات في صمت مؤثر وكانت داني تعلم انه عليها ان تخفض نظرها، فبيرت قادر على تعذيبها بشكل لم تعرفه من قبل، لم يسبق لها ان احست بهذه الجاذبية نحو اي رجل آخر، وبعيداً عن كل شيء، هي انسانة رقيقة وحنونة... ولكن مرة اخرى اعترفت انه رجل فاتن حقاً...

«سيبرد الطعام» قال لها بهدوء.

فأخذت تأكل دون ان تعي حركات يديها المرتجفتين.

«ماذا تفعلين في كاليفورنيا؟» سألها فجأة.

عادت داني للواقع واجابته: «اعمل في وكالة لعرض الازياء... اقصد كنت اعمل في وكالة في لوس انجلوس...».

«اوه... وانتهى؟».

«اقصد... انني...» وتذكرت الاسباب التي دعتها لترك العمل في الوكالة فهل ستكلمه عن براءتها التي لم تعد تناسب ذوق العصر؟ بالطبع لا، فهذا سيؤكد ضعفها امامه.

«وجدت ان هذا افضل» قالت ببرودة.

«لن يكون هذا... مزرعة، صدفة؟» سألها بسخرية.

«لما لا؟ فلقد قام جدي بالمستحيل الى ان جعلها مزرعة حقيقية».

«جدك، ولكن ليس انت» قال باصرار وهو يسكب فنجانين من القهوة.

«اذن؟ الا تعتقد بتأسيس الميراث؟».

«في بعض الحالات، نعم ولكني ارى انه من الجنون ترك مهنة عرض الازياء من اجل العمل في مزرعة!».

«انا لا انوي ادارتها بنفسي! اريد فقط...».

«ان تعيشي من ريعها؟» قاطعها بحدة «وتعتقدين ان رجلاً مثل غرانت كينغ سيتخلى عن مكاسبه؟».

«ستكون له حصته» الحت داني «ولكن لماذا تدافع انت عن مصالحه هكذا؟».

«كان طيباً معي، منذ وصولي الى المنطقة، وهذا البيت له، وله ايضاً كل ما يحيطنا من كيلومترات».

«جزء منها فقط بخصه» صححت له داني وقد زمت شفتيها «والجزء الآخر لوالدتي... ولي انا».

بدا على بيرت انه يريد ان ينهي هذا النقاش.

«حسناً ستكلمينه بنفسك...».

«متى؟» ودهشت مرة اخرى من قلة حماسها للوصول الى هدفها، وليست تدري لماذا ترغب في تمديد هذا الوضع الغريب الذي تعيشه.

«بعد بضعة ايام» اجابها بيرت بلا مبالاة «سأشعل

المصباح، انظري جيداً كيف اشعله، فقد تضطرين لاشعاله في وقت يهبط فيه الظلام وانا لست موجوداً».

كان هذا امراً اكثر منه نصحية، فأطاعته داني بانزعاج، وتساءلت ماذا ستفعل اذا لم يعد بيرت في احد الامسيات؟ فهذا المنزل كئيباً جداً في النهار... ولكن في المساء، سيضم كل الكوابيس المرعبة! وتذكرت فجأة السؤال الذي اقلقها طوال النهار.

«هل خرجت هذه الليلة؟».

«لماذا؟».

«انا... اعتقدت انني سمعت احداً في الخارج...» وتذكرت الآن بوضوح انها سمعت صوت الباب يغلق، ولكن الصوت لم يوقظها حقاً من نومها.

«حسناً... فلنقل انني احتجت لتنشق الهواء» قال لها بلهجة ساخرة.

«اوه... انا خفت ان يكون احد المتجسسين» قالت بغباء.

«لا يوجد احد هنا! على كل حال ليس لدينا قفل».

«حقاً؟ لدينا انا وامي ثلاثة اقفال على الباب في لوس انجلوس!».

«انت تعيشين مع امك؟» سألها بدهشة.

«بالطبع، وهي بحاجة لي من اجل... من اجل مرافقتها، بعد وفاة والدي، كانت متعلقة به كثيراً...».

«لا بد ان هذا صعب بالنسبة لحياتك الخاصة!».

فنظرت اليه للحظة قبل ان تفهم.

«اوه، انني ادبر نفسي!» اجابته بجفاف.

فأخذ بيرت يتأمل وجهها بدقة على نور المصباح.

«لا بد ان لديك اصدقاء متفهمين...».

«ولدي ايضاً والدة متفهمة».

فعقد حاجبيه وسألها: «هل والدتك توافقك الرأي بخصوص المزرعة؟».

«ولما لا؟».

ولم تكن داني مستعدة للاعتراف له بأن والدتها اللطيفة مارشا متحفظة قليلاً، والتي بالكاد تعرفت على والد زوجها، وكانت قد ترددت في الاستفادة من تركته بعد وفاته، حتى في سبيل التخفيف من عذابها الذي يدوم ليلاً ونهاراً، واحست داني فجأة بالدموع تتلألأ في عيونها، فاخفضت رأسها.

«المال لها... لنا، وستقلق اذا اتصلت بغرانت كينغ...».

«وهل هذا ممكن؟».

«امامها يوم او يومان، لقد طلبت منها ان تترك لي بعض الوقت، ويجب علي ان اتصل بها فور...».

فور تأكدك من اقناعك غرانت بالتخلي لك عن المزرعة؟ قد يكون هذا صعباً، حسب ما اعرفه، واذا رفض؟».

«كيف يمكنه الرفض؟ فهو يعلم جيداً ان المزرعة هي لجدي وهناك القانون لحمايتنا...».

«بدون شك... ولكن هذا النوع من القضايا يكلف

ثروة، واذا خسرت... اخيراً، من المحتمل ان لديك بعض المال فعارضات الازياء يكسبن جيداً».

من الواضح ان لديه رأي خاص حول هذه المهنة، لكن داني حافظت على هدوء اعصابها.

«هذا بالنسبة للعارضات المشهورات، اما...».

«الست انت واحدة منهن؟ يبدو لي من ملابسك ومن سيارتك...» تأملته الفتاة قليلاً، وتساءلت لماذا تثق بهذا الغريب؟.

«من شروط مهنتي الاناقة، اما بالنسبة لسيارتي، فهي هدية من...».

«اتمارسين عملاً ملحقاً آخر؟» سألها بهدوء، وتقلصت عيونه، كادت داني تقلب كرسيهاوهي تنهض فجأة بعصبية.

«كيف تجروء!... من يمنحك حق الحكم، حتى اذا لم تكن مخطئاً! من الواضح ان ماضيك ليس نظيفاً، والا لما كنت تختبيء هكذا...».

رفع بيرت رأسه، لكنها اضافت: «لماذا لا تكلمني عن مهنتك؟ هل انت غني ام فقير، شحاد ام سارق؟» ثم سكتت وانتظرت ردة فعله، وهي ترتجف من الغضب.

واذا كانت تنتظر ان يعترف لها ببعض الجرائم الدموية، فستصاب بخيبة.

«كنت اعمل في القانون في بدستون قبل مجيء الى هنا، وهذا ما يزيل اغلب ظنونك».

«ما عدا الاخيرة! ماذا فعلت؟ هربت بثروة احد زبائنك؟» واحست من تعابير وجهه انها اصابت الهدف.

«اشك في ان تستطيع عارضة ازياء من كاليفورنيا من فهم الاسباب التي دفعتني للعزلة عن العالم».

«انت محق، فما نفع الثروة كبيرة اذا كنت تدفن نفسك في هذا الكوخ القديم المفقود؟ لترك عالم من الحياة، واناس يحبونك... على الاقل» اضافت وهي ترفع رأسها «على الاقل اذا لم يكن لديك عائلة؟».

«لدي أهل... وهم يفهمون لماذا انا بحاجة للوحدة».

«بعض الأهل يكونون احياناً عميان، ولا يستطيعون رؤية سيئات اولادهم...».

«قد تكون هذه هي حالتي» وكان يبدو من لهجته انه يريد اقفال باب المناقشة.

«ماذا تفعل في المساء عادة؟» سألته داني، فهز كتفيه واسترخى.

«اقرأ قليلاً».

- ٦ -

تذكرت داني القصص البوليسية التي تملأ احد الرفوف، في البداية ادهشها هذا النوع من القراءة، ولكنه رجل قانون...

«كيف سيمكننا ان نقضي الوقت؟» سألته ببراءة، قبل ان يحمر وجهها عندما رأت نظرة ساخرة تشرق في عيون بيرت.

«كنت اريد ان اقول» اضافت بسرعة: «ان نلعب الورق او الدومينو...».

«يبدو انك تعرفين محتويات البيت اكثر مني».

اذن، هو عرف انها بحثت في كل زوايا المنزل...

«لقد رأيت ورق اللعب وانا ارتب البيت» دافعت عن نفسها.

www.elromancia.com

«اتعرفين لعبة الكرابات؟».

«العبها دائماً مع والدتي»

«بين اثنين...؟».

رفعت داني نحوه نظرة غاضبة، فقط لو انها تستطيع صفعه، كي تزيل ملامح السخرية هذه عن وجهه! ولكنها اكتفت بأخذ نفس عميق لكي تهدأ.

«اتريد اللعب، ام لا؟ اذا كنت تفضل...».

«فلنلعب» قال لها فجأة، وهو يدفع كرسيه وينهض «سأضع حطباً في الموقد، بينما تبحثين عن الورق».

لم تستطع داني الا ان تعجب برشاقة جسده الرياضي، وهو ينحني امام الموقد، لماذا عليه ان يكون هارباً، ان يختبىء عن بقية العالم؟... وكانت لا تزال مرتبكة جداً من المشهد الذي حصل بينهما في الصباح، فهي لم يسبق ان تعرفت على رجل مثير مثله، والشبان الذين كانت تخرج معهم في كاليفورنيا كلهم سخيفون جداً امام بيرت، واثنان منهم كانا قد اتهماها بالبرودة، عندما كانت ترفض عروضهم، مع بيرت لا برودة، ولكن احاسيس تجعلها حيوية، ومثيرة وامرأة...

ولاحظت فجأة انه يقف ويتأملها وكأنه يقرأ افكارها.

«انا... انا سأحضر الورق» قالت بسرعة، واتجهت بعصبية نحو الخزانة.

وكان من ينظر اليهما يلعبان الورق يعتقد انهما ثنائي عادي يلعبان الورق في ضوء المصباح الباهت... ولكن الجو الذي يسود الغرفة، كان غريباً واعجبت داني بحركات

وبحيوية شريكها اكثر من اعجابها باللعبة نفسها، وكان بيرت قد كسب عدة جولات منها على الفور، واخيراً اخذ يتثاءب.

«لقد تأخر الوقت، الافضل ان ننام الآن».

لم يسبق لداني ان رأت عيوناً يتغير لونها ومع ذلك، لاحظت ان عيون بيرت اصبح لونها غامق اكثر تحت نور هذا المصباح.

«نعم، انها... فكرة جيدة» واختفت ابتسامتها عندما نهض بيرت واقترب ليساعدها على النهوض، ولامست يداه ذراعيها العاريين، فاحست الفتاة بأن قلبها يدق بسرعة وان انفاسها تتسارع اكثر وهي ترى في عيونه بريقاً يتجاوب مع احاسيسها، ماذا يحصل لها؟ كيف هي العاقلة المتزنة، ترتبك لهذه الدرجة بوجود رجل بالكاد تعرفه؟...

وتوقفت نظراتها عند شفاه بيرت... ورغبت في ان يضمها ويقبلها... واذا فعل، فهي متأكدة انها ستضيع، ستضيع في عالم الانفعالات حتى المجهول... فمررت لسانها على شفتيها الجافتين.

«انا...».

«تصبحين على خير داني» قال لها بهمس، ثم طبع قبلة صغيرة على شفتيها، فأحست داني بالفراغ الكبير.

«سأبحث عن مصاب الجيب» قال لها بلهجة طبيعية قبل ان يستدير ارادت داني ان تخبره انها ليست بحاجة لوجوده كي تخرج في الظلام، ولكنها كانت تعلم ان الظلام مخيف جداً، واذا خرجت وحدها...

عندما عادا الى المنزل، قالا لبعض مرة ثانية «الى اللقاء» ثم اختفى بيرت في غرفته الصغيرة.

نظرت داني الى الاطباق المكدسة في المغسلة، وقررت ان تنظفها في صباح الغد، وفجأة تلبدت افكارها من جديد، كيف استطاعت ان تعتاد بسرعة على العيش بدون التسهيلات التي تتيحها الحضارة التي كانت طبيعية جداً حتى الآن! هل ورثت القليل من ميل جدها للمغامرات؟..

ترددت قليلاً قبل ان تغتسل بالماء البارد، وكادت انفاسها تتقطع، ولكن هذا ايقظها فوراً، فسرحت شعرها بعصبية، كيف يمكن للناس ان يغتسلون هكذا، في مثل هذه الظروف؟ وبيرت يبدو نظيفاً، وشعره يلمع، وهو ناعم تحت الاصابع... ودفعت هذه الذكرى فوراً عن رأسها، لقد أفهمها انه نادم على لحظة الضعف تلك.

ايمكن ان يوضع منه دوشاً بدائياً؟ وقررت ان تتحقق من ذلك في صباح الغد، ثم أطفأت المصباح، واتجهت نحو السرير، وقالت لنفسها ان بيرت ينام بهدوء تام، وما ان يغير ملابسه حتى يسود الصمت الكامل...

الا يزال صاحياً مثلها في الظلام؟ هل يتساءل متى سيتخلص من زايرته المملة؟.

احمر وجهها عندما تذكرت لأية درجة تمنت ان يقبلها، انه شعور لا يشاركها به طبعاً... ومع ذلك، اعتقدت للحظة... واحست بارتعاش في جسدها، وهنأت نفسها لأن بيرت لم يستغل سذاجتها، والكثير من الرجال كانوا سيقبلون بهذا الذي كانت ستقدمه لبيرت بكل ارادتها...

لماذا لم يفعل بيرت؟ هل ترك خلفه امرأة تهمه كثيراً؟ وتخلى عن كل شيء من اجلها؟ كم هي محظوظة هذه الامرأة...

استيقظت داني في صباح اليوم التالي على نور قوي، فأبعدت شعرها الاشقر الطويل عن وجهها وعادت فأغمضت عينيها من نور الشمس القوي الذي يدخل عبر زجاج النافذة، لا بد انها نامت كثيراً...

ثم جلست في سريرها، واصغت جيداً، لا اثر لأي صوت في الغرفة المجاورة، ورأت النار مشتعلة في الموقد، على كل حال ليس لديها اي سبب للنهوض! فألقت برأسها من جديد على الوسادة واخذت تتأمل سقف الغرفة وقد عقدت يديها تحت رأسها.

هل كانت تحلم، ام انها استيقظت حقاً عند الفجر؟ وهل انحنى رجل فوقها عندما تمتمت ببعض الكلمات عند احساسها بالخوف؟.

«انت بخير داني» قال لها الرجل «هذا ليس احداً غيري، عودي للنوم».

وهي تعتقد انها تتذكر ايضاً انه داعب شعرها وخدها بلطف، فرفعت يدها الى المكان اللذي تتخيل انها تشعر فيه الآن بلمساته عليه، وبالنسبة لكونه رجلاً قوياً، فبيرت هو ايضاً لطيف جداً.

وعاد وجه بيرت للظهور في خيالها، واعتبرتها رعشة لذيذة، لا، لا يمكنها ابداً ان تقع في غرامه، وهي التي حتى الآن لم تتأثر بلمسات اي رجل آخر.

واخيراً لمحت ورقة على الطاولة، فرمت الغطاء عنها بسرعة، واتجهت نحو الطاولة وهي حافية القدمين.

«داني، سأعود قبل المساء، لا تترددي في تناول اي شيء لكي تتغذي جيداً، بيرت».

هذه طبعاً ليست رسالة حب! قالت داني لنفسها وهي تسخر من احلامها الرومنطيقية، فرجل مضطر لاصطياد الحيوانات لكي يعيش ليس من النوع الذي يكتب رسائل حب مليئة بالعاطفة، وجودها يزعجه، ويربك وحدته التي ينشدها، بالاضافة الى انه من المؤكد وجود امرأة اخرى تنتظر عودته، او تنوي المجيء للانضمام اليه في منفاه هذا.

لا... ثم نظرت حولها، فهذا البيت قد اصبح اكثر ترحيباً بعد ان نظفته داني ورتبته، ولكن الامرأة التي يحبها بيرت يجب ان تكون هذه الامرأة انيقة، وجميلة جداً ووائقة ايضاً من نفسها، ولكن لماذا تشغل داني نفسها بنوع الامرأة التي يفضلها بيرت؟.

ثم نهضت من جديد وهي تشعر بتعكر مزاجها ووضعت الماء على النار لكي تنظف الاطباق، واخذت تفكر ببيرت فهو كأكثر الناس الذين تعرفهم، يعتبر ان عارضات الازياء عديمات الاخلاق، وعديمات الذكاء، لقد فهمت رأيه هذا عندما كلمته عن السيارة التي قدمت لها هدية.

ومن جديد احست بالغضب الشديد، وفنجان قهوة سيهدأها! وكان بيرت قد ترك ركوة القهوة على زاوية الموقد، فشربت فنجاناً كبيراً، وشعرت ببعض الهدوء.

كيف ستقضي ساعات الوحدة بانتظار عودته؟ فالمنزل لا يزال نظيفاً تقريباً، يمكنها ان ترتب محتويات الخزانة والجوارير والرفوف... ولكن ماذا ستفعل بعد ذلك؟... ومن شدة توترها اخذت تضرب برجلها على الارض، كيف تجرأ بيرت على اصطحابها الى زاوية معزولة عن كل العالم، وكيف تجرأ على تركها وحيدة يوماً بكامله؟ هل هو مضطر لنصب الافخاخ يومياً؟ ومن اجل ماذا؟ من اجل ارنب تعيس كأرنب الامس؟ الا اذا كان يحاول التقاط حيوانات ذات فراء ثمين ومن يدري قد يكون هناك حيوانات من هذا النوع في هذه المنطقة، وفي هذه الحالة، اين يبيع الجلود؟ وحسب ما يبدو فهو لا يملك وسيلة للتنقل سوى هذا الحصان...

تعبت داني من كثرة هذه التساؤلات، وقررت ان تغتنم فرصة غياب بيرت لكي تستحم، وهذا الحمام سيكون مختلفاً جداً عن حمام منزلها...

وفجأة انقبض قلبها، وتذكرت والدتها، ايمكن ان تكون قلقة من هذا الصمت الطويل؟ هل تحاول ان تتصل بغرانت كينغ؟.

وبعد ان استحمت، توقفت يدها فجأة وهي تنشف جسدها، هذا غريب، فالهدف الذي سافرت من اجله يبدو الآن اقل اهمية! وكل افكارها تحوم حول بيرت، بيرت، الرجل الذي يربكها كثيراً، وبعد ايام او ساعات ستكون بعيدة عن هذا الكوخ، وعن بيرت وعالمه البدائي...

«داني بنسون، انت غبية حقاً!» صرخت داني بصوت

مرتفع وهي ترتدي ملابسها بسرعة.

حتى ولو لم يكن هناك امرأة اخرى في حياته، وداني مقتنعة بالعكس، فأي مستقبل تتصور معه؟ مع رجل ان يقضي كل حياته بعيداً عن العالم المتمدن.

- ٧ -

بالطبع، من المسلي ان تعيش بضعة ايام كامرأة الكهوف، ولكن هذا سيكون متسحيلاً وصعباً اذا كان يجب ان يدوم طويلاً! ولاحظت داني انها ابتعدت كثيراً في احلامها، فعادت الى الواقع وادركت انها جائعة، فحضرت شوربة الشعير التي تكرهها كثيراً. . . واخذت تأكل منها وهي تتخيل رائحة الستيك والبيض المقلي، والخبز الطازج. . .

وبفضل خيالها الواسع، استطاعت داني ان تبتلع الشوربة، وكأنها عجة لذيذة. . . وبعد ان غسلت الاطباق، قامت بنزهة وكان الهواء بارداً منعشاً، والعصافير تزقزق على الاشجار، سعيدة برؤية اشعة الشمس من جديد، والسماء زرقاء والتربة بدأت تجف قليلاً، وهكذا يصبح بإمكان داني

www.elmanara.com

الرحيل قريباً، لكي تنفذ مهمتها، وهذا بالتحديد ما ترغب به بالتحديد.

امضت القسم الاكبر من الصباح في تنظيف الخزائن والرفوف، ولكنها للأسف لم تجد قماشاً نظيفاً تغطي به هذه الرفوف.

على الاقل، اصبح لها منظر آخر! وبعد الظهر شعرت بالجوع من جديد، فأخذت تبحث عما تجده تحت المغسلة حيث وجد بيرت المعلبات ليلة وصولها، فوجدت خضاراً مختلفة، وكريما السلمون «لذيذة جداً مع الخبز المحمص» هذا ما تقوله الورقة التي تغلف العلبة.

فأسرعت وفتحتها وتذوقتها بفرح، وبعد دقائق كانت قد أكلت اكثر من نصفها.

«اوه، بيرت انا آسفة» همست وهي تشعر بالذنب، فهذه العلبة كانت ستكفيه في احدى الوجبات في يوم لم يوفق في صيده... تجاهلت شهيتها لأكمال العلبة، واقفلتها على ما بقي بها في كريما السلمون، وتابعت عملها في تنظيف الخزائن، وكانت دهشتها كبيرة عندما وجدت كيساً من الطحين وبعض الخميرة، ولكن لماذا لم يكلمها بيرت عن الطحين؟ لا بد انه يعتقد ان عارضات الازياء يجهلن طريقة صنع الخبز! لكنها ستثبت له قدرتها على القيام بهذا العمل، وعندما سيعود في المساء، سيجد على الطاولة سلة خبز طازج! وفوراً بدأت بالعمل.

وبينما كانت تعد العجين، احست بفرح كبير... واخيراً، انهت عملها ومسحت جبينها، والقت نظرة على

الفسحة التي امام المنزل الغارقة في اشعة الشمس، اليس من الرائع ان تشرب فنجان قهوة في الخارج؟.

وهكذا اخرجت كرسياً لم يكن وضعه مريحاً، ووضعته على الحشائش، واغمضت عينيها، واخذت تفكر بالنساء القديمات، هل كن يجلسن هكذا امام بيوتهن تحت اشعة الشمس، بعد انهاء اعمالهن اليومية؟ وحاولت ان تتخيل حياة النساء اللواتي كن يعشن في هذه المنطقة قديماً، وبالتأكيد كان يلزمهن دزينة من الاولاد لمساعدتهن على العيش في مثل هذه الظروف، وهؤلاء الاولاد حفاة الاقدام وبشرتهم سمراء، وتخيلت صورة الزوجة التي تنتظر عودة زوجها الذي تحبه، والابتسامة على شفتيها، وتصورت الاطفال الذين يركضون نحو والدهم الذي عاد والفأس بيده، وحمل طفلته الصغيرة الشقراء بين ذراعيه، واخذ يقبلها بحنان ابوي كبير...

فتحت داني عينيها فجأة، ونظرت حولها بدهشة، انها اصبحت مجنونة! لقد اعتقدت انها سمعت صراخ هذه الطفلة السعيدة بعودة والدها...

وسمعت فجأة صوتاً آخر، فنظرت بقلق الى يمينها، واخذ قلبها يدق من الخوف، عندما لمحت حيواناً يتأملها وهو يقف في ظل شجرة ليست بعيدة عنها، فتجمدت مكانها من شدة خوفها، ولم يعد بإمكانها القيام بأية حركة.

هل للذئب فروة سوداء وبيضاء؟ الديه عيون عسلية؟ ايحرك الذئب ذنبه عندما يرى انساناً؟.

واخيراً تمكنت داني من النهوض بدون ان تصدر اقل

حركة، واتجهت نحو الكوخ، وتنهدت بعمق وهي تفتح الباب، ولكن الحيوان تبعها.

«اهدأ» قالت له بهدوء ممزوج بالرعب، وهي تفتح الباب وتستعد لأغلاقه خلفها، ولكنها سمعت صوت نباحه، فالتفتت نحوه من جديد فرأته يمد رجله نحوها، فتبددت كل مخاوفها بسرعة واتجهت نحو الكلب الذي بقي بعيداً عن الباب، ولم يتحرك، ولكنه اكتفى بهز ذنبه بلطف، وبالنباح الضعيف.

«ما بك، ايها الكلب المسكين؟» ثم جلست على ركبتيها بجانبه، دون ان تهتم بنبطلونها الجينز واخذت تداعبه وهي تهمس له بكلمات لطيفة.

«ايها المسكين... لقد اعتقدت انك ذئباً، بينما انت كلب راع لشخص ما، ولكن لمن؟ ليس لبيرت»، والا لكانت رأته قبل اليوم، رفع الكلب قدمه عالياً، فرأت داني انه جريح، فتأملت جرحه، وحزنت عليه، وكان يبدو على الكلب انه ينتظر مساعدتها له، ولكن كيف؟.

«سأعد ماء ساخناً، ايها المسكين» ثم ابتعدت عنه، ولكن الكلب تبعها وهو يعرج، ودخل معها الى البيت، وجلس قليلاً على الارض، بعد ان اخذ يطرق على غرفة بيرت.

اخذت داني تبحث عن علبة الاسعافات الاولية، ولكن يبدو ان بيرت لم يكن يتوقع وقوع اي حادث... لأنها لم تجد شيئاً، فتناولت منشفة ومزقتها وضعت منها ضمادات، ثم انحنت فوق الكلب لتنظف جرحه.

وظل الكلب هادئاً وهي تعالجه الى ان ربطت قدمه، واخيراً اخذ يلمس يدها ممتناً.

«لا استطيع ان افعل اكثر من ذلك» قالت له وهي تنهض «قد يكون لدى بيرت فكرة افضل عندما يعود...».

«... انه يعد الافخاخ...». قالت لنفسها وقد لمعت فكرة في رأسها، لقد ظننت للوهلة الاولى ان الكلب تقاتل مع حيوان آخر متوحش.

ولكن اليس هذا الجرح نتيجة احد الافخاخ التي يعدها بيرت؟ نعم، لأنه لو كان الكلب تقاتل مع حيوان آخر مفترس لكانت ظهرت على جسده آثار اخرى، ولكنها تجد جلد الكلب سليماً، فنهضت لتعد الخبز الغضب يتملكها، لقد تخمر العجين، ولم يبق عليها سوى خبزه، ووجدت صعوبة في تنظيم درجة حرارة النار!.

وكان الكلب يعض الآت ضمادته.

«لا، لا تفعل ذلك!» امرته بلطف، فتوقف الكلب فوراً، فابتسمت داني لا بد ان سيده علمه جيداً كيف يطيع الاوامر التي تصدر اليه.

كانت الغرفة مليئة برائحة الخبز، الشهي عندما دخل بيرت عند الغروب، وكانت داني قد حاولت ان تستعيد ثقتها بنفسها من اجل النقاش الذي تتوقعه، ولذلك كانت قد استبدلت بنطلونها الجينز والبلوزة القطنية بثوب ازرق يظهر رشاقة قوامها، ويتناسب مع لون عيونها، وكانت قد زينت وجهها جيداً امام المرآة التي تعلو المغسلة. واعجبتها النتيجة بعد ان وضعت الماسكرا على اهدابها،

والبودرة على خديها.

وعندما دخل، لمحت في عيونه اعجاباً كبيراً، وكان يبدو سعيداً بهذه السمكتين الكبيرتين التين ربطهما بحبل قصير.

«التروبت!» قالت له بابتسامة طفولية «انا متأكد انك لم تتذوقي مثلها ابداً!».

واخيراً انتبه للخبز الذي على الطاولة.

«لديك خبز؟» سألها وهو لا يصدق عينيه.

«نعم» اجابته بجفاف «بدا لي انه من المفيد اعداد شيء للأكل، ففي حالة انك لم تتوقف، في صيد حيوانات بريئة في افخاخك...».

واخذت تقطع الخبز وتمسح عليه كريما السلمون، فاختفت ابتسامة بيرت، وقست ملامح وجهه.

«الا تحبين السمك؟» سألها بقليل من البرودة، وتناول من يدها قطعة من الخبز، وأكلها بنهم.

«انها لذيذة جداً!» قال لها هو لا يبعد نظره عنها «انت لست جميلة فقط، ولكنك ايضاً تجدين الطهي، وهذا حلم كل رجل!».

فتجاهلت هذه الملاحظة، واجابته: «نعم، احب السمك، وانا آكل ما لا يقع في افخاخك اللئيمة».

«اعتقد اننا تكلمنا بهذا الموضوع مساء امس» قال لها بجفاف.

«وعندما تكون هذه المسألة حياة او موت...».

«اتسمي جرح كلب مسكين مسألة حياة او موت؟» سألته بحدة وهي تنظر باتجاه الكلب المتألم.

فنظر بيرت بنفس الاتجاه وصرخ: «بريغان!» ثم انحنى فوق الكلب الذي يهز ذنبه بهدوء.

«ماذا تفعل هنا؟» سأل بيرت الكلب وهو يداعب رأسه.

«أأنت تعرفه؟» سألته بدهشة.

«بالطبع، اعرفه!» اجابها دون ان يرفع نظره نحوها ثم اضاف بهدوء «انه كلب كوبر كانيون».

«اتقصد انه... انه لغرانت كينغ؟».

«نعم، ولكن ماذا حصل له؟».

«إسأل افخاخك القذرة!» اجابته بحدة.

رفع بيرت قدم الكلب الجريحة بيده.

«كيف؟».

«انا ارى انه وقع بين فكي احد افخاخك...».

«مستحيل!» قاطعها بيرت وهو يتفحص قدم الكلب، لم تتمكن داني من فهم دهشته هذه.

«مستحيل؟ والارنب الذي احضرته مساء امس الى البيت معك؟» ولشدة غضبها لم تنتبه لهذه الالفة الموجودة في البيت الآن.

«ولماذا لا يمكن للكلب ان يقع في فخ وقع فيه ارنب؟».

«لأن بريغان يعرف تماماً...» قطع بيرت كلامه مرة ثانية واشعل المصباح.

«انت تعرف هذا الحيوان جيداً؟».

«انه يأتي الي هنا من وقت لآخر، خاصة عندما يكون هنا طعام...».

«هذه ليست حالتنا اليوم! فلا يوجد لدينا ما يكفي لإشباع فأرة» تظاهر بيرت بأنه لم يسمعها.

«سأترك قدمه كما هي الآن» وداعب رأس الكلب «الم تحضري الخضار؟» سألها وهو ينظر اليها معاتباً.

«لم اكن ادري ماذا سيكون الطبق الاساسي الذي ستحضره!».

«هذا صحيح!» قال لها مبتسماً «ما رأيك بالسمك؟ك».

- ٨ -

اخذت داني تراقبه وهو يعد السمك، وارتبكت رغماً عنها، كم هو جميل!... لماذا لا يعيش حياة طبيعية؟ لماذا لا يكون رجلاً بإمكانها ان تفخر بتقديمه لوالدتها؟ وتخيلت المشهد «ماما، هذا بيرت، اجهل اسم عائلته، ولكني احبه كثيراً، انه يعيش في كوخ متهدم في وسط كندا المتوحش ولديه مشكلة بسيطة مع مهنته القديمة في الولايات المتحدة، ففكر بأنه من الافضل ان يغير الاجواء، ويهجر حياة الحضارة...».

«داني؟».

اعادها صوت بيرت الى الواقع، ففهمت انه قال لها شيئاً وينتظر ردها.

«اين وضعت الزيت؟».

www.elmanara.com

«اوه... هناك على الرف...» وعادت تراقبه وهو يقلي السمك، وعندما وضع الطعام على الطاولة تأملته قليلاً ثم سألته.

«منذ متى تقيم هنا؟».

فرفع نظره نحوها.

«منذ بعض الوقت» اكتفى بهذه الاجابة وكأنه لا يزيد مناقشة هذا الموضوع.

«لا اعتقد انك تفكر في قضاء بقية ايام حياتك هنا ايضاً! الا ترغب برؤية عائلتك والذين تحبهم...؟».

«سأفعل ذلك يوماً ما، بالتأكيد».

«بعد تقدم الوقت وسقوط الحق؟».

«وماذا تعرفين عن قانون سقوط الحق بالتقادم؟» سألها وقد بدا وكأنه يتسلى بمناقشتها.

«ابداً، انا عرف فقط انه بعد مرور بعض الوقت، لا يمكن محاكمة الناس على الجرائم التي ارتكبوها».

«بعض الجرائم» حدد بيرت، بانزعاج مفاجيء ثم اضاف: «ايمكنك فتح علبة البازيلا لو سمحت؟».

ترددت داني للحظة، ايمكن ان يكون ارتكب شيئاً فظيعاً لا يمكن لقانون السقوط بالتقادم ان ينطبق عليه؟ وعادت اليها المخاوف، ايمكن له ان يكون اشد خطراً من المجرمين؟ خاصة وان بعضهم رغم جرائمهم، يملكون مظهراً يشبه مظهر القديسين...».

واخذ الكلب ينبح بلطف.

«ماذا سنعطيه كطعاماً؟» سألته بحزم واصرار.

«هم! نحن ليس لدينا ما يكفي من السمك لثلاثة...».

«واذا اعددت له شوربة الشعير؟ قد لا يكون جائعاً كثيراً، بعد الذي حصل له اليوم...».

لاحظ بيرت معنى اللوم في صوتها، واجاب غاضباً: «اكرر لك انه لم يقع في احد افخاخي، وانا لست المسؤول الوحيد في المنطقة... حسناً، اعدي له الشوربة اذا كنت تريدين، ولكنه قد يرغب بشيء آخر لمساء الغد...».

«مساء الغد...؟» قد تحصل اشياء كثيرة من الآن وحتى مساء الغد وليس طعام الكلب هو اهمها!.

وبينما هي تعد الشوربة، اخذت داني تفكر، اذا كان الكلب قد جاء من كوبر كانيون، فيمكن للانسان ان يفعل مثله، لأول مرة في حياتها احست بالخوف، بالخوف الحقيقي، وهذه هي المرة الأولى ايضاً التي تلتقي فيها برجل مثل بيرت، بنفس الوقت جذاب وفاتن وغريب لا تعرف عنه اي شيء!.

واثناء تناول العشاء، ساد بينهما صمت طويل، وكأن بيرت فهم نيتها في الهرب، فنظر اليها نظرات غضب فيها شيء من التهديد... وفور انتهاء العشاء، اسرعت الفتاة لتنظف الاطباق ووضعت ماءً على الموقد.

«لا يوجد الكثير من الماء» قالت له متلعثمة «ايمكنك ان تحضر بعضاً منه؟».

«ليس الليلة» اجابها بجفاف «الا يوجد ما يكفيك حتى

الصباح؟».

«بلى، بدون شك».

وبالفعل كان يوجد ما يكفي لصنع القهوة، ولكن بالتأكيد، لم يكن يوجد مايكفي لكي تغتسل داني...

«كيف تستحم انت؟» سألته فجأة وعادت فجلست قبالته.

«استحم؟ هناك البحيرة القريبة، ولكن في هذه الايام من السنة، الطقس بارد جداً، وخاصة بالنسبة لمن اعتاد على طقس كاليفورنيا، والا فبالامكان استعمال الدلو الكبير القديم».

«اي دلو؟».

«الم تريه عندما بحثت في كل المنزل؟».

فهزت رأسها.

«انه عملي اكثر مما يبدو عليه» وكان يبدو عليه انه لم يعد بإمكانه ان يمنع نفسه من الضحك.

«اليس من الجميل ان تستحمي امام النار؟» اصر بسؤاله بسخرية، فدفعت كرسيها بعنف وتناولت الماء الذي كان على الموقد.

«لا سبيل لذلك، سأنتظر الى ان اصل الى المزرعة، وهناك سأجد دوشاً حتماً...».

«هذا لن يدهشني، اعتقد انه مكان مريح».

«الم تذهب الى هناك ابداً؟» سألته بخوف «فأنت قلت لي بأنك كنت تعرف جدي معرفة جيدة».

«هذا صحيح، لكنني كنت التقيه دائماً هنا، اكرر لك،

كان رجلاً طيباً ومتفهماً».

«كان جدي يأتي الى هنا؟» سألته وهي تتأمل الغرفة باهتمام جديد.

«دائماً! للحقيقة، كنا نلتقي دائماً ونلعب بهذا الورق القديم».

ارتعشت داني، ووضعت يديها تحت ذقنها.

«كنت سأحب المنطقة غريزياً» وتنهدت «ولكنني لم اتعرف عليه، الى من الغريب ان تكون انت صديقه، وبأنني لم اره ابداً؟».

«هذا يحصل كثيراً، وانا ايضاً توفي جداي قبل ولادتي».

«اتريد ان تكلمني عن جدي؟» سألته الفتاة بعد تردد قصير.

«ووالدتي لا تعرف عنه سوى رسائله، وابي لم يكن يكلمها عنه كثيراً، كما وانه كان غريباً بالنسبة له، وبعد موت جدتي، ارسل ابنه الى كاليفورنيا حيث قامت بتربيته عمته».

«هل كانت والدتك تكتب له دائماً؟».

«لا... وبرأيي كان يجب ان تتصل به بانتظام اكبر لو انه لم يكن شخصاً... مهماً، لقد اخبرته برسالة بموت والدي، وبكيت كثيراً عندما تلقت جوابه، انه لا يستطيع ان يرسل لنا اية مساعدة مادية، لأنه يستثمر كل رأسماله في مخزونه الاحتياطي» وسالت دموع على خديها، فاحنت رأسها ومسحت دموعها.

«ولكنها لم تكن قد كتبت له من اجل هذا، كانت تريد فقط ان تبق على علاقة مع عائلة زوجها».

نهض بيرت وملأ فنجانين، وترك لها الوقت لكي تهدأ قليلاً. . . فابتسم لها، وتساءلت فجأة، لماذا لم تعد تخاف منه؟ لقد اختفى خوفها نهائياً، كما اختفى غضبها عندما اعتقدت انه مسؤول عن جرح الكلب بريغان.

وكانت تشعر انها تعيش في حالة من السحر، بين الحقيقة والحلم، هي في عالم توقف فيه العقل عن التميز، وهي تعيش مع رجل غريب، وتجد نفسها تجلس معه كأنها تجلس مع زوجها، مع انها بالكاد تعرفه.

«جدك، كان رجلاً مهماً، مهما كان وضعه المالي، كان مميزاً في طريقته بالعيش وفي. . . فلسفته، كان طيباً جداً مع كل المخلوقات من رجال ودواب وطيور. . .» شرح لها بيرت بابتسامة حنونة «كان ما يمكن ان نسميه رجل الطبيعة، كان يثق بالعالم، والعالم كان يثق به».

«بدون شك، لم يكن يضع ثقته دائماً في مكانها» قالت له بجفاف «وخاصة مع غرانت كينغ».

تنهد بيرت وقال لها: «انا لا اعرف شيئاً» اجابها بهدوء «ولكني متأكد من انه لم يكن يحب ان تزعج حفيدته نفسها في كل هذا» نهضت داني وبدأت تقطع الغرفة ذهاباً وإياباً، ثم توقفت فجأة وقالت: «اذن، كان يجب عليه ان يفكر بنا وان لا يحرمنا من ميراثه!» ثم اقتربت من بيرت واضافت: «انت تعرف القانون جيداً، وبإمكانك مساعدتي».

«انا لم اعد امارسه» قال لها بقسوة «ولا اعرف كيف

ادافع حتى عن والدتي، وحتى اذا تمنيت ذلك».

«لا سبيل لذلك» الحت داني وعادت وجلست قبالته.

«انا اطلب منك فقط ان تنصحني، وبشكل خاص، ولن يعلم احد و. . . واذا قلت لي بأنه ليس لدي اي أمل بالنجاح، فأنا سأصدقك».

«عظيم، اذن انا اؤكد لك الآن انه ليس لديك اي أمل بالربح امام هذا الرجل، فهو صاحب نفوذ كبير في المنطقة، ولن يقبل اي رجل قانون هنا على الوقوف بوجهه».

«بهذه الحالة، سأذهب الى فانكوفر! وهناك لا بد من ايجاد اشخاص لا يترددون لهذه الدرجة!» قطب بيرت حاجبيه، وفهم ان الفتاة تصنفه بين اولئك الجبناء.

«اتعتقدين انك تملكين المال الكافي؟». فأفخضت رأسها.

«حسناً، انا. . .».

«هذا ما توقعته».

احست داني بالدموع تتلألأ في عيونها.

«اذن. . . ماذا سأفعل؟ أأعود الى المنزل وانسى ان جدي عمل كل حياته ليمنح كل تركته لرجل غريب؟».

مد بيرت يده عبر الطاولة ورفع وجهها نحوه بهدوء.

«بإمكانك البقاء معي مدة اطول» همس بحنان، ففتحت عينيها ونظرت اليه هي تبحث عن أثر للسخرية، لكنها لم تجد، فنهضت ونظرت اليه بغضب.

«من تعتبرني انت؟ مثل الاخريات؟ اتتصور ان كل

عارضات الازياء هن نساء يسهل الحصول عليهن، ويبحثن دائماً عن مغامرات جديدة، حسناً، هذه ليست حالتي انت، سيد... اوه...».

واشارت بيدها بحركة عصبية، وهي لا تدري ما اسم عائلته.

«حتى ولو كنت كذلك» اضافت داني «فلا يوجد اي شيء فيك يهمني ويثيرني».

«حقاً؟» ثم نهض واقترب منها، وقال لها بهدوء: «لم احس بهذا الشعور امس» ثم داعب خدها بيده.

«لماذا، او لمن زينت نفسك هذا المساء؟ من اجل بريغان؟».

- ٩ -

فالتفتت نحو الكلب، فوجدته نائماً ووجه على يديه.

«انك انت من كان يجب ان يحمل هذا الاسم!» اجابته بعصبية، «على كل حال لا سبيل للاقتراب مني».

فظهر الغضب على وجهه، لكنه حافظ على هدوئه.

«ومن يستطيع منعي؟» سألها بهدوء.

«لن تجروء على ذلك».

«اتعتقدين ذلك؟» ثم ضمها اليه، فأحست بأنها كالمشلولة ولكنها ادركت ايضاً انها ليست بقوة هذا الرجل.

واحست بالخوف عندما لامس جسده جسدها، يجب ان تحذر منه، وهي تعرف انه على حق، فهي لن يمكنها مقاومته اذا قرر ان ينس التصرف ككائن متحضر...

«ماذا اصابك، فجأة؟» سألته متلعثمة.

www.elmancia.com

ورفعت نظراتها الزرقاء نحو بتوسل، ولكنها لم تجد في عيونه اي اثر للسخرية، واخذ يداعب وجنتيها، فادارت رأسها، لكنه امسك ذقنها بلطف واجبرها للنظر اليه.

«اذا اكدت لي انك نسيت تماماً ما حصل بالامس، فانك ستخيبين أملي كثيراً، ومع ذلك يجب ان تسامحيني لأنن فظ قليلاً، وأقل رقة من الرجال الذين تعرفت عليهم من قبل».

«انا... انا لم اتعرف على رجال بالمعنى الذي تتصوره انا... انا... انا لم يسبق لي...».

«وتعتقدين انني اصدقك؟».

«هذا لا يهمني!» اجابته غاضبة «لكن هذه هي الحقيقة» وكانت لمساته على شعرها تربكها.

«هناك وسيلة لمعرفة ذلك...» اقترح عليها وضمها اليه كثيراً.

«ارجوك...» وكانت قد فقدت كل قواها، ولو لم يكن يسندها اليه لوقعت حتماً.

فقرب رأسه من رأسها، واقترب فمه من فمها.

«لا؟» ولكن بالامس... واطبق شفتيه الدافئتين على شفتيها وقبلها.

ظلت داني محافظة على لا مبالاتها للحظة رغم الانفعالات القوية التي تجتاح كيانها، ثم احست بأن عقلها توقف عن العمل، فهذه المشاعر التي ولدتها لمسات وشفاه بيرت احتلت المكانة الأولى وقضت على كل ما بقي.

«لا، لا...» صرخت بصوت مرتجف وهو يقبل عنقها.

«انك جميلة جداً» همس وهو يحدق بعيونها الزرقاء المليئة بالاشواق «كنت انتظرك منذ مدة طويلة... طويلة...».

«لم تكن تعرفني من قبل» اعترضت بصوت منخفض.

«لكنني كنت اعلم بأنك ستأتين».

هي بنفسها... ام اية امرأة اخرى؟ وهل هذا مهم حقاً؟ بالنسبة له، لا تهمه اية امرأة... لكنها وبشكل غريب لم تعد تهتم... ولم تعد تفكر الا به، بهذا الرجل الذي ولدت شفاهه في كيانها مشاعر لم يسبق لها ان عرفتها من قبل، انه ليس سوى امتداد للعالم السحري والغريب الذي تعيشه منذ ايام قليلة، عالم بيرت وحده.

«هل ستبقين؟».

فحاولت داني ان تتخلص من كل هذه الانفعالات التي تربكها.

«ماذا؟».

«هل ستبقين هنا معي؟».

واحست ان صوته يأتي من البعيد، كيف يمكنها البقاء هنا، بينما والدتها تنتظرها في كاليفورنيا؟ وهي التي جاءت فقط لرؤية غرانت كينغ، ولاستعادة كوبر كانيون؟ حتى ولو رغبت هي بذلك، فهذا مستحيل.

«بيرت، لا سبيل لذلك» قالت بلطف واستجابت لقبلته الحارة، وكانت يدا بيرت تداعب جسدها بحنان كبير.

«هل ستبقين داني؟ ارجوك قولي نعم، داني».

«لا» وهزت رأسها بيأس، وهو يرغب بشدة بأن تستسلم

لـه، هل هي حقاً داني بنسون، تلك الفتاة التي تستسلم لـرجل بـالكاد تعـرفه؟ هـذه الفتاة التي تخـاف من الضيـاع التام؟.

لقـد رفضت كثيراً من قبـل... ولكن بيرت مختلف عن الآخرين، وقد يكـون هذا الاختـلاف هو الـذي تسبب بهذا التغيير المفاجىء عند داني.

واخـذت تـلامس كتفيـه، وعنقـه واحست بقلبـه يخفق بجانب قلبها، وتعلقت بكل قوة بتلك الافكـار الاخيرة التي راودتها، ولكن ما تبقى من خجل تبدد بسرعة.

«حسناً، موافقة سابقى».

كانت داني تتوقـع كل شيء الا التغيـر المفاجىء الـذي حصل له، ان شوقه انطفأ فجأة، تركهـا تعيسة تـرتعش، انه لم يبتعـد عنها، لا يـزال بقربهـا لكن حفـرة كبيـرة جفـرت بينهما.

«هل انت متأكدة؟» وكان صوته مـرتجفاً اكثـر من صوت داني فنظرت اليه نظرات توسل واستفهام.

«انـا... انا اعتقـد لم يسبق لي من قبل ان عـرفت هذا الشعور» فأخذ يداعب شعرها بلطف ويبدو عليه التفكير.

«لا شيء يدعو للعجلة» قـال لها بهـدوء «سننتظر الى ان تتأكدي» احست داني فجأة بغضب كبير، مـاذا يريـد منها، في النهـاية؟ مـاذا ينتظر منهـا؟ لقـد قبلهـا، لقـد ايقظ كـل المشاعر اللذيذة الجديدة المربكـة... والآن انه يتكلم عن الصبر... ومع انها متأكدة انه يرغب بها.

وفتحت فمها لتعترض، لكن الكلمات ماتت في حنجرتها

عندما ضمها اليه بقوة، وتناول شفتيها بشوق جـديد. وتبـدد قلق داني بسرعة، وفجأة سمعتا ضجـة انتشلتهما من عـالم الـرغبة، التفت بيـرت نحـو بـريغـان وهـو يتنهـد ثم ابتسم لداني.

«لقـد انقذك الكلب» ثم طبـع قبلة رقيقـة على خـدهـا، وابتعد عنها، فأحست الفتاة انه شعر بالراحـة الكبيرة عنـدما تـدخل الكلب وقـاطعهما، واحست انهـا تتقـاسمهـا مشاعـر الخجـل والدهشـة، ونظرت اليـه وهو يبتعـد واخذت تمـرر يدها في شعرها بعصبية، فتح بيـرت البـاب للكلب الـذي طلب منه مـرافقتـه الى الخـارج، واخـذت داني تبحث في حقيبتها عن مشط تسرح شعرها، انها مجنونة، بدون شك، ابداً لم تسمح من قبـل لأي رجل ان يقبلهـا بهذا الشكـل، وان يلامس جسدها بهذه الجرأة التي ولدت في كيانها رغبة قوية كهذه.

ولكنها لم تكن قد التقت برجل يشبه بيرت، وقـادر على قلب كل مبادئها الخلقية.

وارتعشت رغم دفء الغرفة وجلست قرب الموقـد، ماذا فعلت؟ مستحيل ان تبق هنا كما وعدتـه، وكان هـو مجنونـاً عنـدما اقتـرح عليها ذلـك، وهي كـانت غبية بمـوافقتهـا، ويجب عليهـا الآن ان تجـد وسيـلة للخـروج مـن هـذا الموقف.

وقبـل ان يسمح لهـا الوقت لـرسم مخطط للهـرب، عاد بيرت والكلب يتبعه، فنظرت داني اليه من خلف كتفها.

«ستكونين بحاجـة لمعطفـك، لكي تخرجي، فـالطقس

بارد في الخارج» قال لها بهدوء.

ثم ناولها المعطف، وعندما ساعدها بارتدائه، امسك مصباح اليد الذي كان على المغسلة.

«بإمكاني التصرف وحدي، شكراً لك» همست دون ان تنظر اليه، فتردد قليلاً قبل ان يناولها المصباح.

فخرجت واقفلت الباب وراءها، واستندت عليه للحظة ونظرت الى السماء حيث تلمع النجوم بشكل لم تره من قبل، وبدا لها وجه والدتها الجميل الذي تظهر عليه أثار العذاب، و تلألأت الدموع في عينيها، كيف استطاعت ان تنساها، وان تنس سبب وجودها هنا؟.

فأشعلت المصباح وابتعدت متجنبة النظر الى النور المنبعث في البيت، لم تكن تريد رؤية بيرت، نعم، انها لا تريد رؤية هذا الرجل الذي يمسك بين يديه القدرة والغرابة والرومنطيقية التي ادهشتها ولكنه رغم كل شيء، جبان حقيقي، وهارب من المجتمع ومن قوانينه...

وعند عودتها توقفت امام الباب، وكان بيرت يضع الحطب في الموقد، ، فتأخرت في تأمل عضلاته التي تتلاعب تحت قميصه، واحست بخوف كبير، فاذا قرر ان يمارس الحب معها هذه الليلة فلن تتمكن من مقاومته.

التفت بيرت نحوها ولاحظ الخوف على وجهها.

«ما بك؟» سألها بهدوء ثم ساعدها في خلع معطفها، وضمها اليه بحنان.

«انك تنظرين الي وكأنني تنين ينوي افتراسك...».

لم تجبه داني، فأجبرها على النظر اليه واضاف: «لقد

قلت لك انه لا ضرورة للعجلة، اتخافين ان ارغمك بالقوة؟» وكانت يداه تضمانها اليه، فهزت رأسها دون ان تقول اية كلمة.

«اتعتقدين انني قادر على ذلك؟» الح بيرت.

«لست ادري» اجابته متلعثمة.

«اذن، دعيني اطمئنك» ثم احنى رأسه وهمس بقرب شفتيها.

«قبل يومين، كنت انت تتوسلين الي لكي احبك...».

لم تعترض داني امام هذه الملاحظة المعجرفة، وقاومت كثيراً لكي تحافظ على هدوء اعصابها، بينما اطبقت شفاه بيرت على شفتيها، وهذا ما اخافها اكثر، هذا هو الجواب المثير الذي اراده منها، رغم ارادتها، وبادلته القبلات الحارة.

ومرة اخرى، كان بيرت هو الذي قطع عناقهما، وانفاسه تلهث بسرعة، وحدق بعيون داني.

«أرأيت؟... هيا الى النوم الآن» امرها دون ان يرفع نظراته عنها «نامي الآن، داني وانا لن ازعجك ابداً».

مأدار ظهره ودخل الى غرفته، واغلق الباب وراءه.

ومرت ساعات، وداني لا تزال مستيقظة في سريرها، لا تعرف النوم. غريب! فهي لم تعد تخاف من بيرت، ولكنها تخاف من نفسها ومن ردات فعلها، فابتسمت بمرارة فكل النساء في هذا العالم تقر بجمال بيرت وسحره، انه اكثر سحراً من بقية الرجال الذين تعرفت عليهم، ولكن سحره طبيعياً...

وداني ايضاً لا تشبه بقية النساء، فهي تملك حرية منذ وفاة والدها، وبالاضافة لحريتها حملت مسؤولية امها الكبيرة، وداني تحبها كثيراً، ولكن حملها كبير عليها، ومارشا بحاجة لأبنتها، وكلاهما بحاجة للاستقلال المادي الذي يمكن لغرانت كينغ ان يقدمه لها.

- ١٠ -

نبح بريغان من زاويته، فخطرت فكرة في رأس الفتاة، لقد وجد الكلب طريقه الى هنا، سيكون بإمكانه بالتأكيد العودة الى كوبر كانيون... واخذت تفكر بهذه الخطة... اذن سيكون بريغان هو منقذها... وغداً هي...

ولكن بريغان لم يكن يفكر بالعودة بالاتجاه المعاكس في صباح الغد، وكالعادة، رحل بيرت قبل ان تستيقظ داني، ولم تجد اي أثر للكلب.

فنهضت وبدلت ملابسها وشربت فنجانين من القهوة التي كان قد اعدها بيرت وتركها على الموقد.

وقامت بجولة حول البيت، ووجدت بريغان ممدداً تحت شجرة، وما ان رآها حتى رفع رأسه، دون ان ينهض فاقتربت داني منه، وجلست على ركبتيها بجانبه واخذت

www.elromancia.com

تداعب اذنيه الطويلتين.

«اوه، بـريغـان، احب ان تقـودني الى سيـدك... لا يمكنني البقاء هنا».

ورغماً عنها، ظـل نـظرهـا متجهاً نحـو البيت... انـه جميل، العصافير انه بالتأكيـد مكان رائـع لقضاء الاجـازات بـالنسبة لـرجل كثيـر النشاط والمسؤوليـات، ولكن بيـرت، يجب ان يكون هذا بمثابة سجن له.

مرت فترة قبل الظهر ببطء كبير، وحـاولت داني ان تقوم بعملها اليومي لكي تقضي الـوقت الطويـل، وعند الـظهر، اعلن نبـاح الكلب وصـول شخص مـا، فـانتفضت داني، ولاحـظت فجأة ان شكلهـا ليس انيقاً ابـداً، فاذا كـان هـذا الزائر هو غرانت كينغ نفسه قد جاء للبحث عن كلبه، ماذا سيظن بها؟ لقد كان شعرها منكوشاً، ولا اثـر للمكياج على وجهها، والغبار تملأ يديها.

فـأسرعت وغسلت يـديها، وسـرحت شعرهـا، واتجهت نحـو الباب وهي تحـاول ان تظهـر بموقف ودود لكنـه حازم بنفس الوقت، ولكنها بهتت بنـور الشمس القوي، فخبـأت عينيهـا بواسـطة يـديهـا وهي تصـرخ بـاتجـاه القـادم الـذي يقترب.

«من هناك؟».

«ومن تنتـظرين؟» انه صـوت بيـرت الـدافىء، فشعـرت داني بالفرح والسعادة.

- «انـا... اعتقدت ان القـادم قـد يكـون غـرانت كينـغ» شرحت له بينما اقترب منها اكثر.

«حقاً؟» وداعب خدها بيده ليزيل بعض الغبار عنه.

«لست ادري اذا كنت ستنجحين معـه، انت تشبهين ربة بيت صغيـرة كثيـرة الاعمـال، بـدل تلك عـارضـة الازيـاء الانيقة، الباردة، لكنك داني الحقيقية».

«ان شكلي لن يكون له اية اهمية عنـدما سـألتقي اخيراً بغرانت كينغ» اعترضت وهي تهز رأسها الى الخلف.

«ما الذي دعاك للعودة باكراً اليوم؟».

ونهت الالفة الكبيرة التي دفعتها لهذا السؤال.

«لقـد احضـرت الـطعـام للكلب» اجـابهـا بقليـل من السخرية، فالتفتت نحو الكلب ورأته يلتهم قطعـة كبيرة من اللحم.

«... ولنـا ايضاً» اضـاف وهو ينـظر اليها بمكـر كبيـر، وأشار الى لحمة طـازجة لا يـزال الدم ينقط منهـا، فدخلت الى البيت وهي ترتجف.

«كيف يمكنـك ان تتخيل لحـظة انني استـطيـع ان ابتلع هذا؟» سألته وهو لا يـزال يحمل قـطعة اللحم «ولكن هـذه طازجة فقط!» ظلت داني تشعـر بالاشمئـزاز، الى ان وضع بيرت اللحمة ووضعها على الطاولة في مقلاة واسعة.

«ستحتفظ بهـذه اللحمـة للعشـاء، ومـاذا لـديـك انت للغداء؟».

ولهجة صوته الفرحة، وابتسامته زادت من غضب داني.

«الدجاج المحمر والسلطة المنوعة» اجابته باستهزاء، ثم التفتت نحو الباب وهي تضع يدهـا في شعرهـا، واضافت: «انت تعرف تمـامـاً انه لا يوجد شيء للغداء، ليس اكثر مما

تناولناه مساء امس».

«لديك خبز» اجابها وهو يقترب منها، فارتبكت الفتاة، واحست بقربه وبرائحة عطره...

«براڤوا!» اجابته ممازحة «أتحبه مع الزبدة او مع...».

«الجبنة؟» سألها مبتسماً.

بحثت داني في وجهه على اثر للسخرية، وسألته بفضول.

«الجبنة؟».

«اعدي القهوة، ريثما آتي بالجبنة» ثم خرج من البيت، وظلت وحدها تتساءل ماذا يقصد الجبنة هذه؟ ثم وضعت الماء على النار.

شرح لها بيرت، وهما يأكلان الخبز والجبنة الشهية الصفراء.

«لقد صنعت حسب الطريقة القديمة، صنعتها زوجة احد المزارعين في الجوار، وهي تعطيني منها بسخاء كلما صنعت منها».

«هذا لا يدهشني» فكرت داني، وتخيلت امرأة هجرها زوجها، وتحاول بسعادة لفت نظر بيرت اليها... ولكنها اكتفت بالسؤال بلهجة طبيعية.

«اتسكن هذه السيدة بعيداً من هنا؟».

«تقريباً» اجابها بايجاز، وقطب حاجبيه عندما فهم حقيقة افكارها.

«كـ داني للحقيقة، لم تكن تفكر بشيء كانت جائعة فقط. ـــ بأنها لم تذق من قبل جبنة لذيذة كهذه

بالطبع، لأنها لم تشعر بمثل هذا الجوع في الماضي! حتى في الفترة التي كانت فيه تتبع نظام تغذية قاسي بسبب مهنتها.

نعم، انها الآن تتبع مثل هذا النظام وذلك بسبب غرانت كينغ، فاذا رفض ان يمنحها ما يحق لها، ستحاول ايجاد عمل آخر، ولكن... ثم تنهدت بعمق لن يكون الراتب كافياً لتأمين تكاليف العلاج الذي تحتاج له والدتها.

«ما الذي يشغل بالك؟» سألها بيرت فجأة.

«عفواً؟... اوه، اشياء كثيرة...».

«اشياء؟».

«نعم» اجابته بجفاف «انت لا تتصور ابداً انني استطيع الاختفاء على وجه الكرة الارضية دون ان يقلق احد على اختفائي؟... على عكسك انت...» اضافت بسخرية، ابتسم بيرت لكنه اجابها بحدة.

«والدتك لن تقلق، اعدك بذلك ال...».

«ماذا تعرف انت عن امي؟» قاطعته بجفاف «انها بالتأكيد اتصلت بغرانت، واكتشفت انني لم اصل اليه بعد».

«مستحيل» اجابها بثقة وتوتر، ثم قطع قطعة خبز اخرى «فالخطوط الهاتفية مقطوعة، واذا حاولت الاتصال بالمزرعة ستفهم انك لم تستطيعي الاتصال بها، وستدرك انك وصلت بسلام.

«لا يمكن للخطوط ان تبق مقطوعة نهائياً!». اعترضت داني بصوت مرتجف.

«بدون شك، ولكن هذا قد يستغرق وقتاً طويلاً، اطول مما تعتقدين، ولن تستفيدي من مواجهة غرانت كينغ، والافضل لك ان تعودي من حيث جئت» ثم رفع حاجبه، ولمعت في عيونه نظرة حادة واضاف: «على كل حال لقد ادخلت الفرحة الى حياتي!» واخذ يتأمل المنزل النظيف «لقد ادركت ان الامرأة ضرورية في المنزل، وخاصة في هذا المنزل».

«انا لم انظفه من اجل ارضائك انت!» اجابته غاضبة «لكنني نظفته فقط لكي اشغل نفسي... كما انني اريد الذهاب الى كوبر كانيون، ولا يهمني رأيك بهذا الموضوع».

عقد بيرت حاجبيه، ثم انهى قهوته ونهض.

«كما تشائين» وهز كتفيه واضاف: «حسناً، لدي عمل الآن» ثم اتجه نحو الباب.

«هل... هل ستخرج مرة ثانية؟».

وكانت هناك لمحة أمل في صوتها، فقد يقبل بريغان الكلب، بعد وجبة الطعام والقيلولة هذه ان يرشدها الى المزرعة بعد الظهر، وعندما سيعود بيرت في المساء ستكون داني قد اصبحت على بعد كيلومترات من هنا، وفجأة انتفضت، لقد اقترب بيرت منها، والابتسامة الساخرة على وجهه، وكأنه ادرك افكارها.

«سأبقى قريباً، الم تلاحظي ان مخزون الحطب اصبح قليلاً؟».

«لاحظت ان هناك بعض الحطب قرب البيت».

«يوجد ما يكفي فقط لبضعة ايام، وانا احب ان تستمري في صنع الخبز اللذيذ».

«لن ابق هنا طويلاً!» تردد بيرت قليلاً ثم عاد واقترب منها.

«اتمنى ان اتمكن من اقناعك بالعكس...».

فتراجعت داني خطوة للوراء.

«لا تلمسني!» وتناولت سكيناً حادة كانا يستعملانها في تقطيع الخبز، ورفعتها باتجاه بيرت، فضحك وقال لها: «انك لا تخيفينني» وتابع تقدمه نحوها «صوبي جيداً نحو القلب... انه هنا» ووضع يده على صدره العريض «هيا، انا لن امنعك» شدت داني على السكين للحظات اعتقد انها قرون طويلة بينما ظلا يحدقان ببعض الى ان اختفت سخرية بيرت، وحلت مكانها نظرات غريبة، عميقة واكثر قلقاً.

وعندما شعر انها هدأت، تناول السكين من يدها، واعادها الى الطاولة، دون ان يرفع نظره عنها، واخيراً، جذبها نحوه بلطف، لم يعد بإمكانها ان تقاومه، واخذ يلامس شفتيها بشفتيه، برغبة وشوق كبيرين.

واستقرت يد داني على قلبه الذي يدق بسرعة، ثم عادت الى كتفه قبل ان تحيط عنقه، والتصق جسدها بجسد الرجل القوي.

ولم يعد يهمها سوى اللحظات الحاضرة. واحست بأنها لم تكن تعيش من قبل، وتقبلت هذا الاحتكاك وهذه الرغبة التي تجتاحها كما تجتاح بيرت، وكانت انفعالاتها مجنونة

ورائعة، واخذت تبادله قبلاته ولمساته.

وعندما ابعدها عنه، كانت تشعر بدوار وبعدم القدرة على التركيز. فأغمضت عينيها.

«بيرت...؟».

«يا الهي، داني! انا لست صغيراً!» صرخ وهو يهز كتفيها.

«اذا لم اخرج فوراً، فأنا لن افكر بالنتائج!!».

«النتائج؟» سألته وهي لا تزال في ضباب كثيف.

«اية نتائج؟».

«أيجب حقاً أن اصفها لك؟ نعم، انت بريئة، ولكن ليس لهذه الدرجة!».

- ١١ -

فهمت داني بسرعة، فأدارت وجهها بخوف وغضب.

«اخرج!» أمرته بحدة ونسيت للحظات انها تطرده من منزله!.

«اخرج ارجوك» الحت من جديد.

«اطمئني» واتجه نحو الباب «انا ذاهب، لأنني حقاً بحاجة للغطس في البحيرة الباردة».

ظلت داني واقفة مكانها وهي تكتف يديها فوق رأسها. كيف يمكنه دائماً ان ينسيها مبادئها؟ انه يملك القدرة على تغييرها تماماً. لقد اصبحت فتاة اخرى. فقدت مبادئها. وانجذابها نحوه بقوة، واقوى من كل ذلك.

بدون شك، كانت تملك هذه العواطف، لكنها كانت تحتفظ بنفسها من اجل الرجل الذي تنتظره.

www.elromancia.com

ولكن لا يمكن لبيرت ان يكون هو نفسه ذلك الرجل. خاصة بنمط الحياة التي يحياها، وهي لن تعيش في منفى، بعيداً عن كل ما تعرفه، وعن كل ما تحبه! ولكنها تحبه... وفجأة رمت نفسها على الكرسي، الحب هذا شيء آخر شعور يكبر بين شخصين لكي يصل الى رغبة كبيرة في العيش معاً، ولتربية اولادهما ثمرة حبهما. وتأملت داني الغرفة البدائية، اي امل في حياة عائلية يمكن ان يوجد هنا، في حالة ان...؟.

ثم نهضت بسرعة ووضعت ماءً على النار. لكي تغسل شعرها. فقد يريح ذلك اعصابها، وبعد قليل اخرجت كرسياً، وشعرها لا يزال مبللاً وجلست في الخارج. واخذت تتأمل بيرت، الذي كان صدره عارياً ويقطع الحطب، فأغمضت عينيها وأخذت تتخيل نفسها بمايوه السباحة قرب مسبح تعرض جسدها لأشعة الشمس.

«داني! استيقظي، لقد احضرت لك القهوة!».

فتحت عينيها، وكانت قد غفت قليلاً، والتقت نظراتها بنظراته.

«اوه هذا انت؟».

«نعم، هذا انا بعد ان تشربي القهوة، يمكنك ان تستحمي».

«استحم».

«ولكن نعم! لقد جمعت الحطب الذي يكفي لمدة اسبوع او اسبوعين».

«براڤوا!!» قالت له بسخرية، ولكنها احست ببعض

المرارة، وهي تفكر انها لن تكون هنا لتتدفأ بكل هذا الحطب، لماذا لا يكون بيرت رجلا عادياً يعيش حياة عادية؟ ولماذا لم تلتق به في كاليفورنيا؟ لكانت مارشا احبته كثيراً. ولكانت مارشا لتفهم انه فتح عيون ابنتها على اشياء جديدة... ولكنها ايضاً كانت ستدهش عندما تعلم بأن هذا الرجل يدفن نفسه بعيداً عن العالم وعن عائلته وعمن يحبهم.

«ماذا ستفعلين عندما ستعودين الى منزلك؟» سألها فجأة.

«سأبحث عن عمل جديد» اجابته بجفاف وهي تشرب القهوة.

«عارضة ازياء ايضاً؟».

«لا، لقد اكتفيت من هذه المهنة، سأحاول بدون شك ان انطلق في مجال السكرتيريا... او... سأساعد غرانت كينغ في ادارة المزرعة. وستأتي والدتي للعيش هنا، وانا متأكدة ان هذه المنطقة ستعجبها كثيراً..».

«اتعتقدين ذلك؟.. وانت؟ ما رأيك بهذه المنطقة؟».

«انا؟ لقد ولدت وعشت في المدينة» ثم ابتسمت بمرارة.

«حتى انني اعتقدت ان بريغان ذئب، او حيوان مفترس...».

«ولكنك عالجت جرحه ونظفته...».

ان الكلام عن هذا الجرح، جعل قلب داني ينقبض مجدداً. فقالت بجفاف.

«يجب ان يوضع الناس الذين يصنعون الافخاخ في السجن كيف يمكنهم النوم ليلاً بينما حيوان مسكين يحاول جاهداً ان يتخلص من الفخ...؟».

«الصيد احياناً وسيلة للبقاء». اجابها بيرت بايجاز وهو يداعب اذني الكلب.

«بالنسبة لك، مثلاً؟» قالت لنفسها. بينما كان بيرت يتثائب كرجل قوي يختلف عن بقية الرجال. اليس من الخسارة ان تنحصر كل هذه الطاقة والموهبة في مجال طبيعي محدود؟ كان يجب عليه ان يكون محامياً لامعاً. او قاضياً مشهوراً، لا يخاف من العمل القاسي.

«لماذا فعلت هذا؟» سألهته بفضول.

حدق بها جيداً، والدهشة على وجهه.

«فعلت ماذا؟» ثم اشرقت عيونه بمكر واضاف:

«انا في الثانية والثلاثين من العمر، واذا فعلت الكثير من الأشياء السيئة في حياتي، بأي منها تفكرين؟».

«بسبب وجودك هنا» اجابته بإصرار. «الا يمكنك العودة و...».

«استطيع ان لا اعود!» اكد لها بسرعة جعلتها ترتعش «ان تجارتنا تصنعنا» اضاف بهدوء واخذ يتأملها جيداً.

«ستلاحظين بنفسك ذات يوم ان تجربتك مع رجل غابات اثرت بك...».

انها فكرة يجب اخذها بعين الاعتبار، قالت داني لنفسها ثم ابعدت نظرها عنه.

وبدا لها كل شيء بعيداً: حياتها في كاليفورنيا،

ووالدتها... ولم تعد تشعر بوجود شيء آخر غير هذا البيت وكأنها سعيدة في حياتها فيه. في عالم يسيطر فيه عليها رجل حيوي له كتفان عريضان.

رجل قادر على الوصول الى اعماق قلبها، رجل استطاع ان يوقظ في نفسها رغبتها في معرفة معنى الحب، ذلك الاتحاد الكامل بين كائنين. في هذا العالم الغريب حيث تعيش منذ ايام قليلة، من الطبيعي ان ترغب بتعميق معرفتها ببيرت. ومعرفتها بجسده، ومشاركته العواطف التي تجعلها ترتجف.

ورغم ذلك، عادت للواقع من جديد.

«اعتقدت انني سأنساه فور مغادرتي لهذا المكان. وهذا سيكون كنوع من الاجازات، اترى ذلك؟».

ونظرت اليه بسخرية تشبه سخريته، واضافت.

«مغامرة مهمة حالياً، ولكني بالكاد سأذكرها بعد عودتي الى منزلي...».

قطب بيرت حاجبيه، ولكنه تمكن من السيطرة على نفسه، ومد يده نحوها.

«ان حمامك جاهز».

أمسكت يده، واحست بانهما يملكان نفس الأحاسيس، ولكن ما ان نهضت حتى تركت يده.

«بامكاني الانتظار الى حين عودتي الى الحضارة». قالت له بجفاف.

«وانا الذي كنت اعتقدت انك امرأة تهتم بمظهرها بشكل كبير... فالمتمدنون لا يحبون الأجسام المتسخة.

حتى ولو كن . . . . . فاتنات».

كان كلامه قاسياً لكنه صحيح، فأسرعت داني ودخلت المنزل، بعد كل شيء، حمام ساخن سيمنحها الثقة بنفسها التي تحتاجها للقاء غرانت كينغ. لان هذا اللقاء سيتم غداً وبأية وسيلة كانت. ستصل الى كوبر كانيون.

تبعها بيرت الى الداخل. ورأت داني الدلو الكبير قرب الموقد. وبيرت يملأه بالماء الساخن.

«انا آسف، ليس لدي حمام فاخر» قال لها بيرت بسخرية، «ولأجل حمام فاخر، يجب ان تنتظري لحين عودتك الى العالم المتمدن!».

بالكاد سمعته داني، ورفعت عينيها عن الدلو الكبير الذي يشغل نصف الغرفة.

«انا . . . مستحيل ان استحم بمثل هذه الظروف» اجابته بحدة وحزم.

فنظر اليها بمكر، وكأنه فهم ماذا تريد ان تقول.

«لا تقلقي» طمأنها وهو يتجه نحو الباب «سأخرج، حتى بريغان سيترك لك المكان حراً، ولكن بالطبع» اضاف وهو يهز حاجبه باستخفاف «اذا احتجت لمساعدة في فرك ظهرك، فأنا تحت تصرفك . . . واعتقد انني سأرضيك!».

ظلت داني واقفة تفكر وقد خرج بيرت واغلق الباب وراءه «سأرضيك . . .» وفكرة الاستحمام تطغى على بقية افكارها، وبلمحة عين، اصبحت عارية، دون ان تشغل بالها ببيرت.

وتركت نفسها تنزل في الماء الدافيء، وفي قرارة نفسها

شكرت بيرت على لطفه لأنه فكر بهذا الحمام . . . وقد يكون الاستحمام هكذا شيئاً رائعاً بالنسبة لبيرت الذي، كما قال لها امس، يستحم بالبحيرة.

واستمتعت داني بدفء المياه التي اراحت اعصابها كثيراً، بعد قليل، عندما مدت يدها لتناول الصابونة، فهمت ان بيرت رجل مذوق ويفكر براحتها، لقد وضع صابونتها الخاصة التي كانت فوق المغسلة امام الدلو لتتمكن من تناولها.

وكانت داني تنظف جسدها وتفكر، بالفعل بيرت هو رجل متعدد الوجوه، نعم، لقد فهمت ذلك منذ اليوم الأول، لكن هذه اللطافة تزداد يوماً بعد يوم . . . وهي لا تستطيع ان تمنع نفسها من التفكير بالامرأة التي يحبها بيرت وتقلق احلامه، فهو بالاضافة لكونه ساحر وفاتن، يملك احساساً نادراً عند الرجال.

ولكن هذا ليس هو الوقت المناسب للتفكير به، وهي التي قررت الهرب، واخذت تفرك رجليها، الواحدة بعد الاخرى، ولاحظت بطرف عينيها حركة الماء فوق ساقها اليسرى، فنظرت جيداً، يا الهي . . . انها اكبر عنكبوت رأته في حياتها.

ولشدة خوفها لم يعد بإمكانها المتابعة، والعنكبوت يتدلى بخيطه صعوداً وهبوطاً فوق الماء بشكله الاسود، وفجأة، كأن هذه الحشرة فهمت فهمت قرار داني، فنزلت الماء نحو اصابع قدمي داني.

«بيرت!» صرخت وهي تثني ساقيها «بيرت!» وسمعته

يركض نحو البيت، فأغمضت عينيها، وكأنها تبعد بذلك الحشرة المتجهة نحوها، فتح الباب فجأة.

«داني؟ ماذا حصل؟».

- ١٢ -

فاضطرب لفتح عيونها، فرأته قلقاً مستعداً لأنقاذها، فأشارت باصبعها نحو العنكبوت وهي ترتجف.

«ايه... ارفعها... ارجوك، بيرت ارفعها واقتلها!...».

«من اجل السماء، داني انها ليست سوى عنكبوت!» وكان في نبرة صوته انزعاج واحتقار، ثم انحنى فوق الفتاة، وامسك العنكبوت بيده الكبيرة، ورماه في الخارج، وعاد نحو داني معاتباً وممازحاً.

«انها لم تكن لتأكلك! فنحن لسنا في كاليفورنيا، هنا!».

«انا لا اتحمل العناكب» شرحت له بذهول.

«اطمئني... لم اكن اعتقد انك تناديني لكي افرك لك

www.elmanara.com

ظهرك...» وتغيرت ملامح وجهه بينما استقرت نظراته على صدر الفتاة المبلل بنقط الماء.

«ولكن، بما انني هنا...».

فخبأت داني صدرها بيديها واحمر وجهها، واجابته بصوت مرتجف: «لا ضرورة لذلك انا... انا آسفة لأنني ازعجتك...».

لم يكن يبدو عليه انه ينوي الذهاب، بل على العكس، تقدم خطوة منها، والابتسامة الماكرة تعلو شفتيه.

«لا تكوني ساذجة لهذه الدرجة، كيف تتصوري انك ازعجتني حقاً؟».

«ارجوك، بيرت... دعني وحدي».

واغمضت عيونها عندما انحنى بيرت، واخذ يرفع الماء بيديه ويرميه على ظهرها.

«هيا، داني ناوليني الصابونة» قال لها بصوته الطبيعي، فأطاعته الفتاة بحركة آلية، ولم تفهم حقيقة الوضع، الا عندما اخذ يفرك لها ظهرها، انها هنا، تجلس في بانيو بدائي، امام موقد بدائي ايضاً، ويساعدها في الاستحمام رجل لا يقل بدائية عن هذا الوضع، للأسف كانت خائفة جداً، والا لوجدت هذا الوضع مضحكاً وسخيفاً جداً.

واحست بالخوف، فرفعت عيونها نحو بيرت ولم تستطع تحمل نظرته، واليد التي كانت تفرك ظهرها، اصبحت ناعمة وطرية، وجفون بيرت نصف مغمضة، بينما هو يحدق بشفتي داني.

مما كانت داني تخاف، من بيرت ام من انفعالاتها اكثر؟

لم يمكنها معرفة ذلك.

وتفاجأت هي نفسها بهذه التنهيدة الخفيفة التي صدرت عنها، وهي تقدم له شفتيها.

«لا، بيرت... لا...».

وكانت بالمعركة خاسرة حتى قبل بدايتها، وما ان تناول شفتيها حتى احاطت عنقه بيديها، وداعبت شعره، فجعلها تقف وضمها الى صدره وهي لا تزال مبللة بالماء.

واخذت يداه تلامس جسدها بحركات لطيفة، ومرة اخرى نسيت داني كل العالم.

وفجأة قطع نباح الكلب الصمت الذي لم يكن يعكره سوى اشتعال الحطب في المدفأة.

وعندما استمر النباح، تركها بيرت وانتظر لحظات ثم قال: «الافضل ان اخرج وأرى ماذا هنالك» وتراجع خطوة للوراء ونظر الى داني التي تمتلىء عيونها بنفس الرغبة، ثم ابتعد عنها.

وظلت داني تنظر اليه يتقدم نحو الباب، وهو يمرر يده بعصبية في شعره، ثم اقفل ازرار قميصه، ولاحظت داني بخجل وارتباك، انها هي التي فتحت هذه الازرار بدون وعي منها...

خرج بيرت، واحتاجت داني لدقائق الى ان استعادت رشدها، وقررت اخيراً ان تتحرك، فتناولت المنشفة، واعترتها رعشة لم يكن سببها برودة الجو ولا خشونة المنشفة على جسدها الناعم، والجنون الذي كان قد اعتراها من ملامسة بيرت اختفى بسرعة لأنه بالفعل نوع من

الجنون، وارتدت بسرعة ملابسها.

واصبح جو هذا البيت يسوده السحر الذي جعل من داني انسانة رقيقة شفافة امام بيرت والجاذبية التي تبعث من قوة شخصيته، وبدون شك، اية امرأة اخرى، لم يكن بإمكانها مقاومته ايضاً...

ولكن يجب ان تعي لنفسها! فهي لا يمكنها ان تسمح لمستقبلها ان يرتبط بمستقبل هذا المجهول، الفاتن... ليس في الحاضر، على كل حال، وما ان تحصل والدتها على حصتها من كوبر كانيون، فأن داني ستصبح حرة في ان تعيش الحياة التي تريدها، ولما لا مع هذا الرجل؟ أكان خارجاً عن القانون ام لا... ابداً، لم ترتبك من قبل لهذه الدرجة، حتى ولو كان يجب عليها ان تعيش على الصيد، فهي تعرف ان مصيرها لن يكون بعيداً عن مصير بيرت، ولكن يجب عليها اولاً ان تحل مشاكلها، ولن تخبر بيرت بقرارها الا بعد ان ينتهي كل شيء، والا فأنه سيحاول اقناعها بالعودة عن هذا القرار.

... ولكنه توصل تقريباً الى ذلك، وهذا هو السبب الذي يجب على داني من اجله ان تهرب بسرعة... وبمساعدة بريغان، وتم الهرب بسهولة لم تكن تتخيلها، وهي الآن تجلس على جذع شجرة، وبريغان المتعقل بين قدميها، وتتخيل حزن المنزل المهجور عند عودة بيرت في المساء...

ولكن بعد كل ذلك، قد يشعر بالراحة، فمساء امس عندما اشعل المصباح وجلس قبالتها لتناول العشاء، كان

هادئاً بشكل غريب، وكانت داني تنظر الى العشاء، باشمئزاز كبير، لكنها تمكنت اخيراً من التهامه بشهية.

«انا آسف، لما حصل بيننا» قال لها وهو يلمح الى مشهد الاستحمام، ثم اضاف: «هذا لن يتكرر مرة ثانية».

جرحت داني من لا مبالاته بهذا الشيء الذي حصل واثر بها شخصياً كثيراً، فأجابته بحدة.

«بإمكانك ان تكون واثقاً من ذلك! فأنا سأرحل قريباً» ثم أثارها الفضول فسألته: «من كان ذلك؟».

«عفواً؟» سألها بدهشة دون ان يفهم سؤالها.

«من الذي كان في الجوار بعد ظهر اليوم؟» سألته بالحاح.

«اوه... لا احد... متسكع يبحث عن ثروة جيدة».

«وماذا فعلت به؟».

«لقد اعطيته طعاماً يكفي لغذائه لمدة يوم او يومين» وهز كتفيه هذه اللا مبالاة تجاه الفتاة، والتي هي مطمئنة ومثيرة بنفس الوقت، دامت طوال السهرة، ولعبا الورق، وتبادلا تحية المساء وكأن شيئاً لم يحصل بينهما، وفي الصباح الباكر خرج بيرت وعندما استيقظت داني لم تجده.

وهي الآن تجلس على جذع الشجرة وتفكر بعصبية، وتساءلت هل كانت تحلم بكل بساطة بحادث الامس، ولكن لا، هذا مستحيل! وشعرت بالارتعاش في كل جسمها، وتذكرت حرارة شفتيه على شفتيها...

«سأعود بيرت» وعدت داني نفسها بهدوء وهي تلامس بحنان أذني الكلب الطويلتين.

لم يعد يهمها كثيراً اذا كان هارباً من العدالة، وقررت ان تنضم اليه في منفاه، وان تعيش في هذا البيت البدائي، دون ان تفكر بالغد... ولن تكلم غرانت بكل ما حصل لها منذ ان غادرت كاليفورنيا، وحسب ما قاله لها بيرت لن يشك احد بأنهامرت من هنا خلال الفيضانات... وسيعتقدون انها كانت تنتظر ان تتحسن الظروف المناخية.

واخذت تحدق بالبوط الذي استعارته من منزل بيرت... وكان واسعاً جداً، ويعيق تحركها بسرعة، وسيكون من الصعب عليها ان تشرح سبب انتعالها له بهذا الوقت امام غرانت كينغ... وبالطبع غرانت هذا لن يكون خبيراً بالاحذية النسائية، وهي تتصوره رجلاً خالياً من الذوق ومن الاحاسيس، وغريب جداً عن رجال المدينة، ورغم ذلك كانت تفضل ان تتعرف عليه وهي بكامل اناقتها وفي غير هذه الظروف، لأن ثقتها بنفسها ستكون اكبر...

وعادت وتأملت نفسها، كانت ترتدي بنطلون جينز وبلوزة قطنية طويلة، وتنتعل بوطاً طويلاً يعطيها شكلاً مثيراً للضحك، اما معطفها فقد علقته على غصن الشجرة لأن الشمس كانت قد ارتفعت في السماء.

واحست فجأة بالحزن، فنظرت خلفها، مع بريغان لم تضطر الى السير اكثر من ثلاثة كيلومترات، مع ان ذلك البيت يبدو لها وكأنه قد اصبح آخر الدنيا.

في البداية، كانت تخاف ان تقع في احد افخاخ بيرت، او ان تلتقي به شخصياً، وبعد قليل بدأت تتمنى لو انها تلمح قوامه الطويل، واحست برغبة قوية لأن تكون بين

ذراعيه، تتحسس دفء شفتيه، وحرارة يديه.

تنهدت داني بعصبية، لا بد انها اصبحت مجنونة! ثم رمت معطفها على كتفها وتابعت سيرها، اذا عادت والتقت ببيرت فأنه سيحاول جهده ان يقنعها بأنها ليست بقوة غرانت كينغ، وبأنها تخوض حرباً خاسرة، كان يمكن لهذا الكلام ان يثنيها عن عزمها قبل ان تلتقي هذا الرجل المثير! وليس الأن... ظل الكلب يتقدم وهي تسير خلفه في السهول الواسعة.

«هل انت متأكد انك تعر الى اين انت ذاهب، بريغان؟» كانت داني تسأله من وقت لآخر.

وكان الكلب وكأنه لم يعد يشعر بألم قدمه، وكان كلما وجهت داني اليه هذا السؤال، يكتفي بهز ذنبه ويتابع تقدمه، وفجأة اختفى في احدى المنعطفات، واسرعت داني الخطى للأمساك به، ولكن بريغان كان يعتقد بدون شكك انه ادى واجبه، لأنه تخلى عنها وعن انتظارها كل لحظة، ولا يمكنه ان يقاوم نداء المنزل.

عندما خرجت داني من بين ظلال الاشجار، تجمدت مكانها كالمذهولة امام المشهد الذي امتد امامها، انها بحيرة رائعة، ممتدة بمياهها الصافية التي تعكس اشعة الشمس، والاشجار تحيط بها من كل الجوانب.

وتأملت مياه البحيرة الزرقاء الغامقة، وتنهدت بعمق، حتى ولو بدون مساعدة بريغان، كان بإمكانها ان تعرف الوصول الى هدفها، انها بالفعل مزرعة كوبر كانيون.

ورأت ممراً طويلاً مظللاً بالاشجار يؤدي الى منزل كبير

جداً، اذاً هذا المنزل كان منزل جدها! واحست داني بالدموع تتلألأ في عيونها، وهي تتأمل المنزل والزريبة والكراج، والمنازل الصغيرة، البعيدة عنه... كم كان جدها يحب هذه المزرعة! وليس من المدهش انه لم يكن يرغب ابداً في الابتعاد عن هذه المنطقة، ولو فقط من اجل القيام بزيارة قصيرة لبعض عائلته في كاليفورنيا.

وتبعت داني الكلب الذي كان قد سبقها، وكانت الارض مليئة بالوحول، وتظهر عليها بوضوح اثار حوافر الخيول، ولكن داني لاحظت ان قدميها تغرزان اكثر واكثر في الوحل، وعندما اقتربت من المنزل احست بتوتر كبير.

لا بد ان بيرت على حق، غرانت كينغ لن يتخلى عن مزرعته بسهولة! وخاصة من اجل اي مجهول، ولو كان قريب هنري بنسون...

ثم رفعت رأسها، هنري بنسون او هانك كما يسميه بيرت، لا بد انه تعب كثيراً في انشاء هذه المزرعة، ولا يحق لأحد ان يمنع ورثائه من حصد ثمرة تعبه.

وكان امام المنزل سيارات تابعة للمزرعة، شاحنتان، سيارة جيب، سيارتان سياحيتان، وسيارة كابر يولي من نفس ماركة سيارة داني ولونها...

وعندما صعدت داني على درجات المنزل، كانت دعسات بوطها ترن على الخشب، وتعكر الصمت الذي يخيم على المكان، قد لا يكون غرانت كينغ موجوداً في المنزل، ولكن بالنسبة لهذا المنزل الكبير، لا بد من وجود مدبرة له، او خادمة...

لكن من المستبعد ان يكون له زوجة، لقد كرر بيرت امام مسمعها اكثر من مرة ان غرانت كينغ ليس متزوجاً.

لم تجد داني جرساً امام الباب، فضربت بيدها مرتين عليه، لكنها لم تلق جواباً، فحاولت من جديد، وبدأت اعصابها تتوتر، ثم سمعت خطوات من الداخل تتجه نحو الباب، وانفتح الباب، وظهرت امرأة شابة.

«من؟».

ونظرت الى داني بدهشة واستغراب واخذت تتأمل بوطها الكبير المليء بالوحول.

«بماذا استطيع ان اخدمك؟».

«انا... احب رؤية السيد كينغ» اجابتها داني بتردد.

وتفاجأت داني برؤية هذه السيدة الشابة التي تكبرها ببضعة سنوات، وهي جميلة وشعرها كستنائي، ووجهها مستدير وعيونها عسلية.

«انه ليس موجوداً، الآن ايمكنني ان انقل له رسالة ما؟».

«لا، شكراً» اجابتها داني بسرعة «انا... سانتظره اتعلمين متى يعود؟».

هزت السيدة كتفيها، وتأملتها قليلاً.

«لا ندري متى يعود بالتحديد، فهو... يذهب ويدخل ولا ندري متى يعود» ثم نظرت اليها بفضول واضافت: «ماذا تريدين منه؟»..

«انها مسألة شخصية... ايمكنني الدخول؟».

ثم دخلت داني، قبل ان تسمع الاجابة، وتلفتت حولها

في البهو الكبيرالذي دخلته، انه مريح جداً، وكانت النيران مشتعلة في المدفأة الكبيرة، ويحيط بها كنبات مرتبة بشكل دائري فوق سجادة صفراء تمتد حتى السلم المؤدي الى الطابق الأول، هنري بنسون كان صاحب ذوق رفيع، على ما يبدو.

- ١٣ -

قطعت السيدة الشابة الطريق على داني وقالت لها بجفاف: «اكرر لك، غرانت قد لا يعود قبل صباح الغد! او بعد الغد... قولي لي من انت وماذا تريدين منه، وانا سأخبره، وعند عودته سيتصل بك».

«هل انت زوجته؟» سألتها داني بقلق وهي تتأمل اصابع يد السيدة.

فرفعت هذه السيدة رأسها بفخر واجابت: «ليس بعد! ولكن غرانت لا يخفي اسراره عني، وهكذا بإمكانك ان تثقي بي».

«لا اعتقد ذلك».

لاحظت داني ان البهو يطل على ابواب عديدة.

«سأنتظر عودته» قالت بحزم، واتجهت بخطى واثقة نحو

www.elromancia.com

احد الابواب وفتحته، ثم دخلت الى صالون مفروش بأثاث جلدي، وسمعت تعجب ودهشة تلك السيدة، ولكن هذه السيدة لم تقم بأية حركة لتمنع داني من الدخول، ثم ابتعدت وتركتها وحدها، لا بد انها ذهبت لتعلم غرانت بوجود داني.

وعلى كل حال، ما اهمية ان لا تراه قبل الغد؟ ولقد قطعت كل هذه الكيلو مترات لكي تراه، ولن تتمكن اي «شبه زوجة» من منعها واحباط عزيمتها...

كان في هذه الغرفة مدفأة تشغل حيزاً كبيراً من احد الجدران وتمتد حتى السقف، فجلست داني على كنبة مريحة واسعة، وهي التي كانت قد اعتادت في الايام الماضية على الجلوس على كرسي بيرت القديمة.

بيرت! ماذا يفعل الآن؟ ماذا سيفكر في المساء عندما يعود الى الكوخ وعندما سيلاحظ انها رحلت؟ لا شيء مهم، بدون شك فهي لا تمثل بالنسبة له سوى زائرة مزعجة في منفاه الارادي، وهو لن يتمكن من ان يحبها كما... تحبه.

وفهمت فجأة، وهذا ما صدمها كثيراً، انها تحب بيرت ومنذ اللحظة التي اخرجها فيها من السيارة، ولكن هذا الاحساس يشبه الحلم، والآن، هنا وهي محاطة بكل هذه الفخامة، تخيلت شفتيه على شفتيها، واحست بيديه على جسدها... اوه بيرت!.

ورفعت رأسها فجأة، عند سماعها خطوات شخصين، احدهما رجل بالتأكيد، فأخذ قلبها يدق بسرعة، واعتدلت

في جلستها، وندمت لأنها لم تستحم ولم تبدل ملابسها قبل لقائها بغرانت كينغ، ولكن فات الأوان، وانفتح الباب، فجحظت عيونها وهي تنظر الى الرجل الذي وقف امام الباب، وخلفه تلك السيدة الشابة التي استقبلتها منذ قليل، يبدو عليها الغضب.

هزت داني رأسها، وكأنها تريد ان توضح افكارها.

«بيرت؟...» ولم تصدق عيونها، وهي تنظر الى شعره البني، وعينيه السوداوين واهدابه الطويلة.

«بيرت...» مرة ثانية «انا لا افهم...».

«بإمكاني ان اشرح لك، داني» اجابها بصوت عميق.

شعرت الفتاة بغضب كبير لم يسبق لها ان عرفته من قبل.

كل شيء واضحاً... وموقف بيرت لم يدهش الفتاة، كان قد حاول ان يقنعها بالعدول عن خطتها... بالطبع، انه كان يقدم تقريراً يومياً لغرانت كينغ عن وضع حفيدة هنري بنسون وعن خطتها...

«لم يدفع لك غرانت لكي تمنعني من المجيء الى المزرعة؟» سألته بصوت مرتجف وهي تنهض لتقف في وجهه وعيونها مشتعلة بالغضب.

وكان الحزن يبدو على وجه بيرت لدرجة الاحساس بالعار، و هذا ما زاد من غضب الفتاة اكثر.

«لا بد انه وعدك بأن لا يكشف شيئاً عن ماضيك المشين» الحت داني بحدة.

طقب بيرت حاجبيه، وقطع المسافة التي تفصله عنها

بخطوتين فقط...

«انت لا تفهمين...» وازداد سواد عيونه، وبدا عليه الحرج.

«اوه، بل افهم تماماً» اجابته بمرارة.

ثم ابتعدت عنه واستندت الى الحائط، وهي تحاول ان تتمالك اعصابها كي لا تصفعه، وهزت رأسها بسخرية واحتقار.

«كنت حقاً غبية! لم افهم منذ البداية لماذا كنت تحاول الدفاع عنه دائماً... انه قوي، هذا ما قلته انت، ولن تحاول معارضته، ولكن هل هو قادر على التأثير على الشرطة واقحام نفسه في مشاكلك؟».

وكان صوتها يرتفع اكثر من كل كلمة، فقاطعها بيرت بيأس.

«ليس من اجل هذا كنت ادافع عنه» قال بيرت وقد شحب وجهه.

«انا...».

«ماذا كنت تفعل؟ كنت تأتي كل يوم وتقدم له تقريراً عن تصرفاتي واخباري؟ لقد شرحت له بالتأكيد بأنك تحاول اقناعي بالعدول عن فكرة المطالبة بحقوقي، اليس كذلك؟».

«كنت آتي الى هنا كل يوم، هذا صحيح، ولكن ليس لأجل هذا، هذا مستحيل، لأن...» ثم سكت قليلاً، والألم يقرأ في عيونه وعلى ملامحه.

«لأنني انا غرانت كينغ نفسه، داني».

ثم تقدم نحو الفتاة، وكأنه يحاول ان يحميها من الصدمة التي كان هو سببها، ولكن نظرات داني الباردة لم تسمح له، لقد اتكأت على طرف احدى الكنبات، وكانت متأكدة انها سيغمى عليها، فالغرفة بدأت تدور حولها.

كيف يمكن لبيرت ان يكون عدوها، غرانت كينغ؟ هذا مستحيل، الا اذا...

«انا لا اصدقك...» همست داني، ورفعت نظراتها الشاحبة نحوه التي بالكاد تراه «انت تقول لي هذا فقط لكي...».

«هذه هي الحقيقة، داني» قال لها بهدوء، ثم امسك يديها بكل لطف.

«لم اكن اريد ان اجرحك» اضاف وهو يحدق بها، ثم قطع كلامه والتفت غاضباً نحو الباب الذي فتحته الفتاة التي استقبلت داني...

«غرانت انا...» وفتحت عيونها على وسعهما امام المشهد الذي رأته امامها، ثم تغيرت ملامح وجهها، انها مليئة بمشاعر الغيرة.

«حسناً ماري» قال لها بيرت بهدوء «سأراك صباح الاثنين».

«الن تأتي لاصطحابي مساء غد الى الحفلة الراقصة؟» الحت ماري بجفاف متجاهلة وجود داني.

«لا اعتقد ذلك، انا متأكد ان جاد او اي رجل آخر سيكون سعيداً بمرافقتك بدلاً مني...».

«شكراً جزيلاً لك!» قالت له ماري بحدة، ثم خرجت

واغلقت الباب وراءها بعنف.

وكانت داني قد سمعت كل الحديث، لكن الكلمات لم تدخل الى عقلها منع كلمة غرانت الأولى.

... ولكن، حتى هذا الرجل ليس بيرت ابداً، انه غرانت كينغ، فأمسكت بذراع الكنبة كي لا يصيبها الاغماء من جديد.

«اسمعي، داني اتركيني اشرح لك» بدأ الكلام ثم وضع يديه في جيوبه «لم تكن نواياي ابداً...».

«نحن الاثنان نعلم حقيقة نواياك، سيد كينغ» قاطعته بجفاف.

«اشك، بذلك!» اجابها بحزم.

فنظرت اليه بدهشة.

«اتمنى ان تكوني زوجتي، داني» اضاف بهدوء.

«انظر الى هذا!» قالت له بقسوة ويداها مكتفتين على صدرها.

وبوجه كل المنطق والظروف، كانت داني تتمنى سماع هذه الكلمات من فم بيرت الذي احبته، وليس من فم هذا الرجل الذي لديه اسباب كثيرة للربح اكثر من الخسارة بالزواج منها.

«هذا سيحل كل مشاكلك، اليس كذلك؟» الحت داني «شكراً، ولكن لا، حقاً سيد كينغ، سأحاول ان الجأ الى الطرق القانونية» اضافت باحتقار.

«داني...».

فتجاهلت داني التهديد في صوته، ورمقته بنظرة

اشمئزاز.

«اريد منك الآن ان ترشدني الى غرفة...» واخذت تتأمل الغرفة الفاخرة التي تضمهما «انا متأكدة انه لديك غرف للضيوف، في هذا المنزل الرائع، احب ان ارتاح قليلاً».

قطب غرانت حاجبيه قليلاً ثم اجابها: «سأطلب من ماجي، مدبرة المنزل ان ترافقك» ثم تركها وغادر الغرفة.

نظرت داني اليه وهو يبتعد بقامته الطويلة باعجاب وحسرة، انه اخيراً بنفس الوقت الرجل الذي تحبه والذي تكرهه... وبيرت الذي احبته مختلف عن غرانت كينغ هذا... انه رجل بشخصيتين مختلفتين.

ويجب عليها ان تنس بيرت، والايام والليالي التي قضتها معه، والمشاعر المجنونة التي اثارها في كيانها...

وكانت ماجي المدبرة، سيدة متوسطة السن، لطيفة لم تستطع منع نفسها من الثرثرة وهي ترافق داني الى غرفة الضيوف في الطابق الأول.

«انا آسفة لأنني جعلتك تنتظرين قليلاً بينما كنت ارتب غرفتك» قالت لها بلطف وهي ترافقها في الممر الذي بين الغرف «لقد مضى وقت طويل لم يستقبل به غرانت ضيوفاً يبيتون عنده، ولكنه طلب مني ان اعد لك هذه الغرفة، لأنها الاجمل» وفتحت لها احد الأبواب.

وبالفعل كانت غرفة رائعة لها نوافذ واسعة، تطل على البحيرة وعلى التلال المحيطة بها.

«منذ متى وانت تعملين في هذه المزرعة؟» سألت داني

المدبرة وهي تتأملها.

«منذ مدة طويلة جداً» اجابتها السيدة ماجي بابتسامة.

«اذن، انت تعرفين جدي هنري بنسون؟».

«طبعاً، فالجميع يعرفون هنري بنسون» اجابتها بنظرات ملؤها المحبة «من كان يعتقد ان لديه حفيدة بهذا الجمال وهذه الرقة؟».

«الم يكن يتكلم عني؟» سألتها داني بدهشة وبصوت منخفض.

«ليس امامي، يا صغيرتي، ولكنك تعرفين الرجال، وخاصة عندما يبلغون سن الرجل المسكين هنري...» ثم تنهدت واضافت: «اذا احتجت لأي شيء هذا المساء، فأنا سأكون في المطبخ، والعشاء يكون جاهزاً في الساعة السابعة كالعادة».

«شكراً لك، ماجي».

- ١٤ -

ظلت داني واقفة مكانها دقائق بعد خروج المدبرة واحست بألم في معدتها، هل هي جائعة؟ ام انه الانفعال؟ انها لا تدري، واحست فجأة بتعب كبير، فخلعت حذاءها، واتجهت نحو السرير ورمت نفسها عليه.

وكانت قد نسيت لأية درجة يمكن لسرير ان يكون مريحاً، بعد ان كانت تنام على ذلك السرير في ذلك البيت البدائي، ورغم ذلك، كانت تشعر فيه بالامان... وبالراحة... لأن بيرت كان جانبها.

لكن بيرت غير موجود اصلاً... لا يوجد سوى غرانت كينغ، ذلك الرجل الذي اقسمت على مقاومته الى ان تصل الى هدفها ولو بالقوة...

استيقظت داني في الساعة السادسة والنصف، وتلفتت

www.elromancia.com

حولها، وتأملت الغرفة الفاخرة، كانت تتوقع قبل دخولها الى هذا المنزل ان تجد الاثاث قديماً، لكنها تفاجأت كثيراً بهذا الاثاث الحديث، وبهذا الديكور الرائع.

ثم رفعت الغطاء عنها، نهضت، واحست بشهية كبيرة للطعام، انها المرة الأولى في حياتها التي تشعر فيها بمثل هذا الجوع!.

وامام السرير، وجدت حقيبتها، بيرت او غرانت احضرها بالتأكيد بينما كانت نائمة، ففتحتها وبحثت بداخلها عن فرشاة شعرها، والدموع تنهمر على وجهها، بيرت اوه! بيرت... ووصلت رائحة لذيذة الى انفها، لا بد ان العشاء اصبح جاهزاً، ثم افرغت حقيبتها، واخرجت منها فستاناً ازرق، واتجهت نحو الباب، ثم عادت الى حقيبتها، وهي تفكر، يجب ان ترتدي هذا المساء شيئاً يمنحها الثقة بالنفس لمواجهة الرجل الذي ينتظرها في الاسفل.

وبعد اسبوع في الحقيبة، كانت كل ملابسها مجعوكة، ولكنها وجدت ان الثوب الجورسيه الاسود لا يزال بحالة جيدة، ويناسب لهذا المساء.

كان الممر خالياً، وارتاحت داني عندما وجدت بسرعة غرفة الحمام فدخلت واقفلت الباب ورائها. وكان الحمام واسعاً ومريحاً، بدون ادنى شك، انها غرفة حمام غرانت كينغ!.

وكانت داني قد نسيت لذة الاستحمام تحت الدوش... وفهمت الآن لما كان بيرت دائماً نظيفاً ومرتباً! وبينما كانت

هي تغتسل في الدلو الكبير، كان هو ينعم بحمام لذيذ في منزل نظيف!.

بعد عشرين دقيقة، كانت داني تنزل السلم المؤدي الى الطابق السفلي، واحست بالغضب يسيطر عليها...

وكانت قد اعتنت بتزيين وجهها، وبتسريح شعرها الطويل، وارتدت الثوب الاسود الذي يضفي عليها اناقة كبيرة لكنها اقل براءة، وعندما سرحت شعرها كانت تتساءل كيف يمكنها ان تبدو اكثر حزماً، واخيراً تركته على كتفها يلمع من شدة نظافته، والآن، لقد اصبحت مستعدة لمواجهة غرانت كينغ!.

سمعت همساً من جهة الصالون الذي قضت فيه اسوأ نصف ساعة في حياتها، فتوقفت لحظة امام الباب، واستمعت الى حديث اشبه بالنقاش الجدي.

«افعلي كما يحلو لك، ماجي» قال غرانت لمدبرة منزله «فهي تريد الوصول الى الهدف الذي جاءت من اجله».

«انا لم يسبق لي ان رأيتك بهذا الارتباك، وخاصة مع امرأة» اجابته ماجي بمرح.

«هذه امرأة مختلفة، ماجي انها...».

ورفع رأسه عندما فتحت داني الباب، وتفاجأت بالدهشة التي قرأتها على وجهه عندما رآها.

«انا آسفة لأنني تأخرت» قالت بهدوء.

وكانت ماجي اكثر دهشة من غرانت نفسه، لأن داني كانت تبدو حقاً كعارضة ازياء انيقة جداً، واقتربت من المدفأة.

«لقد وجدت صعوبة كبيرة في اصلاح الاضرار التي تسببت بها الايام البربرية الماضية».

نظرت ماجي الى غرانت قليلاً ثم رسمت على وجهها ابتسامة.

«اوه، لا ضرورة للعجلة... العشاء بإمكانه الانتظار وامامك متسع من الوقت لتناول بعض المقبلات...».

ثم خرجت من الغرفة بعد ان القت نظرة جديدة بطرف عينها الى سيدها.

سعل غرانت قليلاً، وكأنه يحاول تلطيف حنجرته.

«ماذا تريدين ان تشربي؟».

وعرض عليها عدة اصناف من الشراب، وكانت داني تفكر بسرعة ان آخر شيء تحتاج اليه ومعدتها خاوية هو الكحول، ولكن اذا كانت تريد لعب دورها جيداً، فالافضل لها ان تريح اعصابها بكأس...

«كأس مارتيني مع الثلج، لو سمحت» طلبت منه وهي تتأمل بدهشة عدد الزجاجات الموجودة في البار.

وكأن غرانت قرأ افكارها، فقال وهو يتجه نحو البار: «نعم، هذا مدهش، فنحن نستقبل الكثيرين في عيد الميلاد».

تأملت داني الرجل الغريب والأليف بنفس الوقت... وكان يرتدي قميصاً حريرياً وكراڤات تحت جاكيته البيضاء، وهذا لباس انيق جداً بالنسبة لمزارع.

وجلست داني على الكنبة التي اشار اليها غرانت، ثم تناولت الكأس من يده، وتلامس الاصابع هذا الذي لم

يكن بالأمكان تجنبه، جعل الفتاة ترتعش...

«لا بد كنت تفتقد لكل هذا» قالت له بجفاف وهي تشير الى كأس الويسكي الذي يمسكه غرانت بيده «الا اذا كنت كل يوم تشرب منه ما يكفيك قبل العودة مساءً الى ذلك الكوخ؟». ولاحظت الفتاة لمحة الحزن على وجهه.

«انا احب كثيراً ان اشرب كأساً بعد يوم من العمل المتعب، ولكني استطيع التخلي عنه تماماً».

ووقف من جديد امام المدفأة، ولمعت عيونه ببريق كانت داني قد اعتادت عليه واضاف بهدوء: «لو كنت اشرب قبل عودتي مساءً، كنت ستلاحظين، الا تعتقدين ذلك؟».

اخفضت داني رأسها، وبلعت جرعة من المارتيني، وقاومت كي لا تسعل، بينما سرت حرارة الكحول في شرايينها، واخيراً استعادت انفاسها الطبيعية، ونظرت الى غرانت باحتقار.

«اعتقد انك كنت تحاول اغرائي لكي انسى كوبر كانيون تماماً... ولهذا السبب، اقترحت علي العودة الى منزلي، بانتظار ان تكون الشرطة قد نسيتك...».

«انا لم اقل ابداً انني اختبىء من الشرطة!».

«هذا ممكن! ولكنك تركتني اعتقد انك سارق، تبحث عنه الشرطة!» اجابته بحدة ولوم. لكنه ظل محافظاً على اعصابه، واخذ يدير الكأس في يده.

«لقد طلبت منك الزواج» قال لها بهدوء.

«بالطبع! عندما فهمت اللعبة التي تلعبها! وكنت تنتظر

مني ان اقع على قدميك وأسرع بالقبول؟».

«بإمكانك ان تفكري، فبعد كل شيء نحن كنا اثنين، اليس كذلك؟» بلعت داني جرعة اخرى من المارتيني لكي تكسب مزيداً من الوقت، واخذت تبحث عن جواب مناسب، وهي تشعر بالكحول الذي بدأ يهدىء اعصابها.

«لقد استغليت انت بعض الظروف» اجابته داني دون ان تنظر اليه.

«تذكري جيداً من كان يتوقف اولاً» قال لها بحدة عندما لاحظ احمرار وجهها «اتعتقدين حقاً انني كنت استغل الظروف؟ صدقيني لو اردت ذلك، لما كان شيء في العالم يستطيع ان يقف في وجهي، ولما كان هناك شيء اسهل من ذلك...».

وفتح الباب بهذه اللحظة، ودخلت ماجي واعلنت ان العشاء اصبح جاهزاً.

نهضت داني واتجهت نحو الباب، وتبعها غرانت.

وغرفة الطعام كانت واسعة، فيها طاولة طويلة في الوسط، ومدفأة كبيرة في احد الجدران، وخزانة للاطباق من الخشب البني اللماع، والنوافذ كانت مغطاة بستائر من المخمل العسلي، دعاها غرانت للجلوس، ثم جلس على كرسي صاحب المنزل، تأملت داني الغرفة قليلاً ثم سألته: «الا تجد انه من السخيف تناول العشاء وحدك هنا كل مساء؟».

«ليس كل مساء، لقد سبق وقلت لك انني استقبل الكثيرين ومن ناحية اخرى، اكثر هذه المقاعد ستكون

مشغولة عندما اتزوج...» ثم تذوق الشوربة، واضاف يسألها بلهجة طبيعية: «ما رأيك بالاولاد؟ كم تريدين ان يكون عددهم؟».

«بالتأكيد ليس العدد الكافي لملىء هذه المقاعد كلها» اجابته بجفاف من قبل ان تتذوق طبقها.

وبعد قليل وعندما انتهت من العشاء، فهمت محتوى سؤاله، اهو من جديد يحاول طلب يدها للزواج؟ وعلى طريقته الخاصة؟.

«على كل حال، عدد الاولاد الذين ارغب بهم لا يعنيك ابداً!».

«بالتأكيد!» اجابها بهدوء «لكنني انا افكر بخمسة او ستة اولاد، ولكن اذا كنت ترغبين بعدد اكبر...» ثم هز كتفيه، فعضت داني على شفتها بغضب واجابته.

«ان ما كنت احاول ان اقوله لك، سيد كينغ هو التالي ان حجم عائلتي لا علاقة له بحجم عائلتك، وانا لا انوي الزواج منك، لا الآن، ولا في المستقبل».

«اتريدين ان يولد هؤلاء الاولاد كلهم من والدين ليسا متزوجين؟» سألها وهو يدير رأسه باتجاه المقاعد التي حول الطاولة، وكأنه يرى رؤوس الاولاد امامه «كيف تجرئين على مثل هذا الاقتراح؟».

«هذا ليس اقتراحي انا!» اجابته بحدة.

دخلت ماجي بهذا الوقت ورفعت الاطباق عن الطاولة، ونظرت بطرف عينها الى غرانت والى داني.

«لقد مضت مدة طويلة لم تجلس فيها فتاة جميلة جداً

على هذه الطاولة، على كل حال انا لا اذكر ان فتاة جلست وتناولت الطعام هنا. . .».

«الأطراء والمجاملة لا تهمني ابداً، ماجي!» اجابتها داني بعصبية.

ولكنها لاحظت ارتباك ماجي التي اخذت تبحث في عيون غرانت عن بعض الاطمئنان.

«شكراً ماجي» قال لها غرانت بلطف «لقد كان العشاء لذيذاً جداً».

- ١٥ -

احست داني بالحرج وبالخجل، ولكنها فكرت ان ماجي قد تكون مشتركة في لعبة غرانت، فحبست دموعها لا بد انهما يعتبرانها غبية، ويريدان التهكم عليها بقصة الزواج، والاولاد!.

«هل كنت مضطرة لجرح مشاعرها، بهذا الشكل؟» سألها غرانت بلهجة حازمة «لم اكن اتصور انك قاسية هكذا. . .» رفعت داني خصلة من شرعها بعصبية، ونظرت اليه بغضب.

«حسناً، انت كنت مخطئاً، سيد كينغ، وانا لا انوي الزواج منك، ولا. . . ان احتفظ بخادمة غير خلوقة مثلك!».

«انت لا تعرفين عما تتكلمين!» ثم قطع الحلوى،

www.elmanara.com

ووضع في صحنه قطعة كبيرة.

تأملت داني صحنه الكبير، وقالت له: «هل كنت تأكل كثيراً كل مرة تأتي فيها الى هنا؟» سألته بسخرية «بينما كنت انا اعيش فقط على شوربة الشعير وعلى الحيوانات التي كنت تصطادها...».

هدأت اعصاب غرانت بسرعة، كما كانت قد توترت بسرعة.

«كنت آكل نفس الشيء الذي تأكلينه» اجابها بهدوء ثم بدأ يأكل الحلوى.

نظرت داني اليه للحظة ثم هزت كتفيها وبدأت بتناول الحلوى ايضاً، كان الحلوى لذيذة، ولم يكونا بحاجة للكلام وهما يقضيان على الجوع الذي دام اياماً عديدة.

بعد قليل، عادت ماجي تحمل صينية القهوة، وكانت عاقدة الحاجبين، ففكرت داني ان هذه المدبرة ليست معتادة على مثل هذه الملاحظات الجارحة، وحاولت ان تكفر عن غلطتها بالاطراء على هذه الوجبة اللذيذة...

«انا سعيدة لأن الطعام اعجبك» اجابتها ماجي بجفاف، ثم التفتت نحو غرانت وقالت له: «اذا لم تكن بحاجة لي، فأنا سأعود الى منزلي».

رفعت داني رأسها بذهول، وكانت تعتقد ان ماجي تعيش هنا... ولكن حسب الظاهر هذا ليس هو الواقع، واحست فجأة بالاحراج، ولكنها عادت وتذكرت انها قد سبق لها ان قضت ليالي وحيدة في ذلك البيت مع غرانت، ولا داعي للخوف منه في هذا المنزل الكبير.

«حسناً، ماجي الى اللقاء غداً» قال لها غرانت مبتسماً، واعتقدت داني ان هذه السيدة قصدت ان تتغيب هذه الليلة، لأنها مشتركة في مخططات غرانت كينغ، اذن هي لا تستحق الصداقة التي كانت داني تفكر بها...

«اريد ان اتصل بوالدتي» قالت له داني بعد خروج ماجي «الا اذا كانت خطوط الهاتف ما تزال مقطوعة» اضافت بسخرية، رفع غرانت نظره اليها، فأدركت بسرعة وبغضب كبير، ان الخطوط الهاتفية لم تكن مقطوعة.

«لو انك تدري كم احتقرك!» قالت له باحتقار «لقد خدعتني، ولكن ان تترك والدتي قلقة فهذا لا يمكنني ان اغفره لك، اين الهاتف؟».

«في المدخل، ولكن...».

نهضت داني بسرعة، واتجهت نحو مدخل المنزل، ورفعت السماعة بسرعة، وطلبت رقم هاتف والدتها.

«ماما؟ هذه انا، داني».

«اوه، مساء الخير، يا عزيزتي!» اجابتها والدتها، لكن لم يكن في نبرة صوتها اي اثر للقلق.

«انا آسفة، لم يكن بإمكاني الاتصال بك قبل الآن» شرحت لها داني، وكان الأسف بادياً عليها «لقد كنت...».

«لا تقلقي، يا ابنتي، غرانت شرح لي كل شيء عندما اتصل بي...».

«غرانت...؟» سألتها داني بدهشة كبيرة.

«هو اتصل بك...؟» كررت سؤالها متلعثمة.

«بالطبع، يا صغيرتي، لقد ثرثرنا كثيراً، لم يكن بامكانك ان تكلميني بنفسك، لأنك كما قال لي غرانت كنت تقومين بجولة على المزرعة، هيا، كلميني، هل هي كبيرة لدرجة انك بقيت عدة ايام في زيارتها؟...» سألتها والدتها وهي تضحك.

«نعم، انها كبيرة، ماما...» اجابتها داني بسرعة، وحاولت ان ترتب افكارها، لماذا لم يخبرها غرانت انه اتصل بوالدتها؟ وهو كان يعلم جيدا مدى قلقها...؟.

«هل هو فاتن كما يبدو عليه؟» سألتها والدتها.

«يشبه والدي كثيراً عندما يكون غاضباً، ولكن لون شعره مختلفاً».

«هذا غريب حقاً، عندما كلمني، ذكرني بالفعل بوالدك!».

«لا يوجد تشابه حقيقي» قاطعتها داني، ولاحظت فجأة وجود غرانت امام الباب يسمع الحديث، وتذكرت فجأة انها لا تريد ان تقلق والدتها بحوادث الايام الماضية، فعاد الهدوء الى صوتها.

«كان والدي اكثر رقة من غرانت كينغ... اعتقد انه يشبه جدي اكثر... لا، لا تقفلي الخط ماما...».

ثم التفتت الى عدوها، وحبست الدموع التي كادت تنهمر من عيونها.

«ماذا؟ لا... كل شيء على ما يرام، سأتصل بك فيما بعد».

وظلت محتفظة بالسماعة في يدها، بعد ان قطعت

والدتها الاتصال، وحاولت ان تحافظ على هدوء اعصابها قبل مواجهة غرانت كينغ، والآن، واكثر من اي وقت آخر، اقتنعت انها مضطرة لمواجهته من اجل ميراثهما، من اجل المال الذي تحتاجه والدتها، وللحظة تساءلت عن موقف والدتها وانخداعها بغرانت... لا بد انه اطمئن الى طيبة والدتها.

والدموع التي حبستها بيأس، كانت بسبب حماقتها التي وقعت بها وبسبب الحب الكبير الذي كانت تعتقد انها تكنه له.

الحب اعمى، بدون شك، قالت لنفسها وهي تضع السماعة من يدها، لكنها قررت ان تكون حادة البصر والبصيرة، في نقاشها مع غرانت حول موضوع المزرعة.

نامت داني بسرعة هذه الليلة، وعندما استيقظت كان الوقت لا يزال باكراً، واخذت تتأمل الغرفة التي تنام فيها، والتي بدأ يتخلل اليها نور الفجر.

وظلت مستلقية في السرير الدافىء المريح، دون ان تحاول النهوض وكان المنزل غارقاً في صمت كبير.

اي غرفة هي غرفة جدها؟ اتلك التي ينام فيها غرانت الآن؟ ثم ضحكت بمرارة واحتقار، طبعاً فهو لن يتأخر عن استعمال غرفة صاحب الفضل عليه... وتذكرت كيف افترقا ليلة امس.

«انا انوي زيارة المكان كله غداً» قالت له بغضب وقد اشتعلت خداها.

«كل المكان؟» سألها بتعالي.

«كل متر مربع فيه!».

«قد يستغرق هذا وقتاً طويلاً! الا اذا كنت فارسة جيدة!».

قال لها بسخرية جعلتها في اشد حالات الغضب، لكنها حاولت الحفاظ على هدوئها.

«كنت اقصد ان اقول... المنزل وملحقاته بالطبع».

«بالطبع، واذا كنت مصرة، اخبريني اية ساعة تناسبك، وسأكون سعيداً بمرافقتك».

«لست بحاجة لأحد!» وتذكرت فجأة منظر الثيران والخيول.

«بالنسبة للمنزل فقط، ولكنك سترافقني في زيارة الاراضي...».

«بكل سرور...».

ولاحظت تعابير السخرية على وجهه، وغادرت الغرفة، ولكنها تذكرت الآن ايضاً المشهد الذي سبق هذا...

كان غرانت قد نهض وضمها اليه، وعيونه تشع، وقد فقد هدوءه، لماذا؟ ماذا فعلت لأثارة غضبه؟ انها تكرهه؟... انها تريد مطالبته بحصتها من الميراث...؟.

«هناك شيء واحد، لا يمكنني ان ارفضه لك» قال بحدة هو يضغط على ذراعيها.

«وهذا ما لست مستعدة لتقديمه لك!» اجابته بحنق وهي تحاول التخلص منه.

«لكنك فعلت».

«اخترقت كلماته دماغ الفتاة... نعم، هذا صحيح...

لقد استسلمت عدة مرات لقبلاته.

«انا... انا كنت اجهل من تكون» دافعت داني عن نفسها وهي بقمة الغضب، ونظرت مباشرة الى عيونه.

«انا نفس الرجل» اجابها بهدوء.

نعم، انه المنطق نفسه، ولكن المنطق كان بعيداً عن داني، وخاصة بهذه اللحظات.

«لا! انك مخادع، كاذب! حتى انك ادعيت اسماً مزيفاً!».

«انا لم اخترعه، فأن اسمي الثاني هو ويلبرت، واختارته لي جدتي لأنه كان اسم زوجها، وكانت تناديني دائماً بيرت... على كل حال، كنت تعتقدين انني مجرم وهارب من كل العالم، وهذا كله لم يوقفك... اذن اشرحي لي ما الذي اختلف، الآن...» فكرت داني بعدة تفسيرات، لكنها لم تستطع اختيار واحد، كانت تعي فقط دفء هاتين اليدين اللتين تضمانها جيداً... شعرت بأن قدميها لم تعودا قادرتين على حملها.

«اذن؟» سألها باصرار وكأنه فهم ارتباكها، ويريد ان يزيد منه.

ولم يكن بحاجة لأن يجبرها على رفع رأسها، لأنها رفعته بدون وعي، وكان غرانت مستعداً لاستقبال شفتيها وكأن هذه الشفاه تتحرك بدون ارادة منهما، وكانت هذه القبلة لا يمكن تجنبها ابداً... وفجأة ابتعدت عنه، غاضبة من نفسها، من ضعفها، غاضبة منه، ايضاً، لأنه يزيد الامور تعقيداً.

غرانت كينغ مختلف كثيراً عن بيرت الذي تعلمت بسرعة كيف تحبه، وسيكون غرانت هو الرابح دائماً، بإمكانه ان يتخذها زوجة، وهكذا تبقى الثروة في العائلة، بينما كان بيرت لا ينتظر من داني سوى ان تشبع رغباته الطبيعية، وان تكون بقربه امرأة تعجبه وحتى ولو يكن ذلك ابدياً.

هزت داني رأسها على الوسادة، نعم انها تسمع صوت الدوش من خلال الجدران، لا بد ان غرانت استيقظ، وهو يستعد لبداية يوم جديد، وبعد لحظات سمعت داني صوت آلة الحلاقة الكهربائية، ولكنه كان يحلق ذقنه في ذلك الكوخ بطريقة بدائية جداً، مع انه صاحب منزل كبير ويملك المناشف النظيفة ومعجون الحلاقة الحديث... لماذا فضل ان يتخلى عن كل ذلك؟ ولماذا يعيش في ذلك البيت؟ وماذا كان يفعل بنفس الوقت الذي تعرضت فيه داني لذلك الحادث؟ ان هذه الصدفة هي التي جعلت داني تعتقد انه هارب من القانون.

كان هذا السؤال لا يزال يتردد في رأسها عندما خرجت مع غرانت بعد تناول الفطور الذي اعدته ماجي، وذهبا بزيارة المزرعة، وعندما عبرا باب الحديقة المحيطة بالمنزل، رفعت داني نظرها نحوه، لكنها لاحظت انه من الصعب عليها معرفة حقيقة نواياه، ولم تسأله اي سؤال...

انه مختلف جداً عن بيرت الذي تعرفت عليه منذ ايام... مع ان ملابسه هي نفسها... ولكنه يبدو بعيداً جداً عنها هذا الصباح، وبالكاد لاحظت وهي تسير معه

الجياد، والسياج والزريبة وظل بارداً الى ان وصلا الى بستان واسع فأشار الى الفرس ومهرها يأكلان العشب الاخضر.

«هذا الفرس اسمه كساندرا، والمهر باني».

«باني؟» سألته داني بدهشة.

فنظر بيرت اليها قائلاً ثم ابتسم لأول مرة هذا الصباح.

«انه كجدك تماماً».

«اوه، بنسون... باني...».

اقترب الفرس والمهر من السياج، وتجاهلا الفتاة، وبحثا عن لمسات غرانت، واحبت داني ان تداعبهما، ولكنها لم تكن تعرف شيئاً عن الجياد، وعندما كشر الفرس عن اسنانه الكبيرة اخذت داني ترتجف، قد يحاول الحيوان ان يعضها... لاحظ غرانت خوفها، فأمسكها بيدها وابعدها قليلاً.

«الم يسبق لك ان ركبت صهوة جواد؟».

«ليس لوس انجلوس بالمكان المناسب للفروسية» اجابته بهدوء واحست بدفء يده، وعندما تركها احست بالهجر والوحدة.

«كنت اشك بذلك! وهذا شيء صعب على فتاة تعيش في المدن ان تجد نفسها في مكان كهذا وسط الطبيعة...».

وسارا معاً نحو زريبة الخيل، ودخلت داني وراء غرانت ولم تنزعج من رائحة الزريبة، لا بد ان جدها كان يحب هذا المكان كثيراً، هذا غريب... فداخل المنزل لم تكن

تشعر بروح جدها، اما هنا فتشعر بأن جدها لم يمت، وانه لا يزال حياً، ووقفت وجحظت عيونها ورأت ان تتكلم مع غرانت، لكن الكلمات ماتت على شفتيها عندما لاحظت ان غرانت كان يراقبها ملياً وكأنه ادرك حقيقة الوضع.

«داني...» ثم مد يديه نحوها، لكنها خافت واسرعت واتجهت نحو الباب الكبير المفتوح، وقالت له: «شكراً على هذه النزهة، سأقوم وحدي بزيارة المنزل» ثم ابتعدت بسرعة، واحست بانفعال غريب عندما اقتربت من المنزل الكبير، لا بد ان جدها سار ملايين المرات بهذا الطريق وهو يطأ بقدميه على هذه الارض، واحست فجأة بالغضب، لو لم يأت جدها الى هنا، لما كانت تعرفت على آلام الحب مع هذا الرجل...

وعند زيارتها للمنزل، احست بأنه يحمل طابع غرانت اكثر مما يحمل طابع جدها، وعندما دخلت المطبخ، عرضت عليها المدبرة ماجي، ان تشرب معها القهوة.

«الن يعود غرانت، الآن؟».

«لست ادري، لقد تركته في الاسطبل».

«لا بد انه يهتم الآن بالمهر الجديد، كنا سنفقده ثلاثة مرات، في هذه الايام الاخيرة».

وامام دهشة داني، اضافت ماجي: «كانت داندي تواجه صعوبة في وضع صغيرها، وبفضل غرانت تمت الولادة بشكل سليم».

لم تكن داني تتخيل غرانت بهذا الدور.

«انه افضل بيطري في المنطقة كلها، وهو رجل طبيب،

وبإمكانك ان تسألي عنه كل سكان المنطقة، وسيقولون لك نفس الشيء» قررت داني متابعة جولتها في المنزل، ولم يكن يهمها رأي احد به، لقد كونت رأيها وانتهى الامر، وفي غرفة المكتب لم تجد داني شيئاً مهماً يشير الى جدها، ولاحظت مكتباً صغيراً يعلوه آلة طباعة، اذن ليس من المدهش وجود ماري مع غرانت، ولا بد انها تحلم في ان تصبح يوماً السيدة غرانت كينغ، بالنسبة لها، يمثل غرانت الزوج المثالي، الشباب والجمال والثراء... ماذا تريد اكثر من ذلك؟».

وامام باب غرفة غرانت، ترددت داني قليلاً، وعندما دخلتها احست بالذنب، واخذت تبحث في كل الادراج، علها تجد اثراً يشير الى وجود جدها، لكنها لم تجد شيئاً.

واخيراً فتحت جارور قرب السرير، وكانت دهشتها كبيرة عندما وجدت صورة لها.

فجلست على حافة السرير وهي ترتجف، لا بد ان والدتها ارسلتها لجدها منذ عام تقريباً، وهذا يثبت ان هذه الغرفة كانت لجدها، واخذت الدموع تتلألأ في عيونها، لقد كان يحتفظ بهذه الصورة بقربه دائماً...

وبعد قليل، خطرت ببالها فكرة اخرى، من المؤكد ان غرانت رأى هذه الصورة، وعرف صورة من هي، لكنه مصمم على ابعادها من المزرعة، انه ذكي جداً، ولكن يجب ان يعلم انها ليست تلك الفتاة الساذجة التي تظهرها الصورة!.

وقررت ان تأخذ حقها منه، والا فأنها ستلجأ الى

القانون، وتتهمه بأنه حبسها في ذلك الكوخ رغماً عنها.

نزلت داني السلم، وسمعت همساً في المطبخ، فاقتربت على روؤس اقدامها ووقفت خلف الباب الذي كان نصف مفتوح.

«هذا لا يعجبني، غرانت» قالت ماجي وهي تنظف الاطباق «لقد سمعت الطريقة التي كلمتني بها مساء امس، وانا لا احب هذا ابداً».

«هذا ليس موقفاً سهلاً بالنسبة لي ايضاً» اجابها غرانت «ولكن اذا كان هذا فوق طاقتك، خذي اجازة من الآن حتى نهاية الاسبوع، وانا متأكد انني سأنتهي من كل شيء على طريقتي، وهي ستتزوجني، ماجي، حتى ولو اضطررت الى...».

«الى ماذا؟» تدخلت داني وهي تدخل المطبخ، ولاحظت الذهول على وجه غرانت وماجي «حتى ولو اضطررت الى حجزي من جديد؟».

«ماذا تقولين داني...» سألها غرانت بدهشة، ولاحظ فجأة الصورة التي تحملها بيدها.

«اين وجدت هذه؟» سألها فوراً.

«هناك، حيث تركها جدي، في جارور قرب سريره، لقد نسيت انت ان تخفيها، كما اخفيت كل اغراضه، اليس كذلك؟» سألته بغضب كبير.

«انت مخطئة، يا ابنتي» قالت لها ماجي «فأن جدك لم يكن...».

«هذه مشكلتي انا، ماجي» قاطعها غرانت.

«ومشكلتك ايضاً ان تتزوج مني؟ انت لست قوياً لهذه الدرجة، سيد غرانت، انا لن اتزوجك، حتى ولو كنت احبك... وهذا ليس ممكناً».

التفتت ماجي نحو غرانت وقالت له وكأنها تتوسل اليه.

«يجب ان تشرح لها كل شيء، غرانت ليس من العدل ان تتركها تعتقد ان...».

ثم التفتت نحو داني واضافت: «اجلسي، يا ابنتي... فأنت لم تجدي هذه الصورة قرب سرير جدك... لأنه لم يقضي اية ليلة هنا في هذا المنزل...».

«ماذا؟» سألتها داني بذهول.

«ان مزرعة كوبر كانيون لم تكن له يوماً ما، غرانت كينغ اشتراها مباشرة من اصحابها القدامى».

امسك غرانت داني بين ذراعيه بنفس الوقت التي كادت فيه تقع على الارض.

«اتركني، انتما تكذبان، وجدي لم يكن يكذب».

«انه لم يكن ينوي الكذب، لكنه اراد ان تكون عائلته فخورة به، لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لجدك».

«مستحيل...».

«حسناً، داني» واخذ غرانت يداعب شعرها بحنان كبير، «ولكني لم اقل شيئاً سيئاً عنه، وانا ممتن له كثيراً لأنه جاء بك الى هنا».

ابعدت داني يده عن شعرها ثم نهضت وهي تشعر بالحقد على جدها الذي خدعها، وعلى غرانت الذي احبته... ثم اسرعت الى غرفتها، واخذت تروح وتجيء

بعصبية كبيرة، يجب ان ترحل بعيداً عن كوبر كانيون وعن غرانت... وتذكرت كيف طلبت من غرانت ان تزور المزرعة والمنزل... بالتأكيد ضحك كثيراً منها... ولكنه عندما حجزها في ذلك الكوخ كان يريد ان يحتفظ بها بقربه، لأنه يرغب بها كما يرغب الرجل بأية امرأة، لكنه لم يكن ينوي الزواج منها بل من ماري.

والحمد لله لأنها لم تكلمه عن مرض والدتها وحاجتها للمال، والا لكان احس بالمسؤولية تجاه عائلة صديقه هنري بنسون... يجب عليها ان ترحل، ولكن كيف؟... ولكن سيارتها... ايمكن ان تلك السيارة التي تقف في الكاراج هي سيارتها؟ نعم، نعم لا بد ان غرانت نقلها وغسلها.

وعندما تأكدت من غياب غرانت وماجي، نزلت وادارت محرك السيارة، وبعد دقائق اصبحت على الطريق العام، وعبرت جسرين يبدو انهما اصلحا حديثاً، على الاقل غرانت لم يكذب بشأن الجسور... وامسكت جيداً بمقود السيارة، هل هي حقاً تحب غرانت... «اوه، بيرت... لماذا لم تكن هارباً من العدالة؟ لكان بإمكاني ان احبك...».

ثم مسحت الدموع عن عيونها، وفجأة لمحت خيالاً... لا خيالين... بيرت... وجوش... فداست على دواسة السرعة، وقررت ان لا تستسلم لخيالها، وظل الخيالان مكانهما بينما مرت بقربهما بسرعة، فاهتز الحصان، وعندئذ ادركت داني ان هذا حقيقي وليس

خيالاً... وعندما داست على الفرامل، توقفت السيارة في حفرة كبيرة على الجانب الطريق.

لم تستطع داني ان تمسح الدموع التي تسيل على وجهها بغزارة، ونظرت بيأس الى غرانت وهو يفتح باب السيارة.

«يا الهي، بما كنت تفكرين؟» سألها وقد شحب وجهه من شدة الغضب، واخرجها من السيارة «ايجب علي ان اقضي حياتي كلها وانا اخرجك من الحفر؟».

«انا... انا... بيرت، يجب ان اقتلك!» همست داني وهي تحيط جسده بيديها.

«اعتقد انك ستحتاجين الى خمسين سنة...».

«ماذا؟ خمسين سنة؟».

«نعم، اتمنى ان اعيش لكي نحتفل معاً بعيد زواجنا الخمسين» ثم ضمها اليه جيداً.

«انا لن اتزوج من رجل... يشعر بالشفقة نحوي...».

فرفع رأسه نحوها وسألها بدهشة.

«يشعر بماذا؟ انت حقاً لا تعرفين عما تتكلمين» ثم اطبق شفتيه على شفتيها بحنان وشوق، فعقدت يديها حول عنقه.

«اهذا يشبه الشفقة؟» سألها غرانت وهو يبعد رأسه عنها.

«اوه، بيرت...».

«انا ادعى غرانت...».

«اعرف... ولكن بالنسبة لي، انتما اثنان بيرت الهارب من القانون، وغرانت المزارع... ولست ادري ايهما...».

«ليس لدي سوى وسيلة واحدة لأثبت لك انني نفس الرجل، هيا بنا» ثم رفعها ووضعها على ظهر الحصان جوش، ثم احضر حقيبتها من السيارة.

«لا تنسيها هذه المرة ايضاً».

فاحمر وجهها من الخجل لأنها اتهمته مرة بالسرقة.

«الى اين تصطحبني؟» سألته بصوت مرتجف، وكأنها كانت تعلم بالجواب.

لم يجبها غرانت، بل ظل صامتاً الى ان وصلا الى ذلك الكوخ، الذي بإمكانه ان يجعل الاحلام حقيقة، ثم ساعدها على النزول ودخلا معاً.

«هل كان جدي يعيش هنا؟».

«نعم».

«لا بد انه كان يحب هذا المكان كثيراً».

«نعم، الحياة تصبح احياناً غير محتملة، عندما يفقد الانسان شخصاً يحبه كثيراً».

«اكان يتكلم كثيراً عنها؟».

«تقريباً، ولكني كنت سأفعل مثله اذا مررت بنفس الظروف، وفقدت... زوجتي التي احبها...».

«ماذا كنت تفعل هنا في ذلك اليوم الذي انقذتني فيه...».

«كنا نرشد القطيع نحو الاراضي المنخفضة بسبب

الفيضان، وكنت اقوم بجولة اخيرة بعد ان ارسلت الرجال الى المزرعة، عندما وقعت انت في تلك الحفرة».

«اذن كنت تعلم من انا؟».

«شككت بذلك، لقد لاحظت لوحة سيارتك و...».

«سأحضر القهوة» فنظرت اليه مبتسمة.

«وعرفت من اكون من لوحة سيارتي ومن...».

«اوه! لقد أراني جدك صورتك، لا ازال اذكر وجهك».

«طبعاً لأنك كنت تحتفظ بها، قرب سريرك؟» قالت له بسخرية.

«نعم، اعترف لك! لقد وقعت في حبك بنفس اللحظة التي رأيت فيها صورتك، واخذتها بعد وفاة جدك، ووضعتها في المكان الذي كنت اتمنى ان تكوني انت شخصياً فيه، قربي».

«وكيف عرفت انني سآتي الى المزرعة».

«لو لم تأتي، كنت انوي الذهاب اليك شخصياً» ثم امسك يدها بين يديه.

«لماذا اذن لم تقل لي كل الحقيقة عن جدي؟».

«لم اكن اريدك ان ترحلي و... خفت ان تسيئي فهم ذلك المسكين هنري، اعتقدت انك مهتمة جداً بماله...».

«لم اكن اريد المال لنفسي! كنت اريده لكي ادفع تكاليف علاج والدتي!».

«الهذا السبب كنت تريدين المزرعة؟» سألها مبتسماً «لا تقلقي يا حبيبتي، ستحصل والدتك على كل ما تحتاج

اليه، فأنا املك المال الكثير، وعندما ستتحسن، بإمكانها المجيء للعيش معنا، والمزرعة ستعجبها، انت قلت لي ذلك».

«نعم، انا متأكدة، ولكنني لا اعرف اذا كانت ستسر بزواجي من رجل لم اعرفه سوى منذ اسبوعين فقط...».

«اتريدين الزواج مني؟» سألها بدهشة وكأنه لا يصدق أذنيه.

«هل انت متأكدة؟» ثم ضمها اليه اكثر، وتناول شفتيها وقبلها بحب، وشوق وحنان، دون ان ينتظر منها الاجابة على سؤاله.

ثم حملها ووضعها على ذلك السرير القاسي، وادركت داني انها ليست مجرد مغامرة بدون غد، انها حياة كاملة والاسم الذي عرفته اولاً انطلق من بين شفتيها، فرفع غرانت رأسه فوراً.

«الا يمكنك ان تنسي بيرت؟... انه هو الذي كذب عليك، والذي خدعك... انه هو الذي لم يشرح لك بأنه ترك المدينة وقرر ان يحقق حلم طفولته بأن يصبح مزارعاً...».

«ولقد تحقق الحلم... واصبحت مزارعاً» قالت له وهي تداعب شعره «مزارع ترغب كل النساء بالزواج منه، وماري خاصة».

«ماري؟» ردد غرانت بدهشة صادقة، ثم اخذ يضحك «انها سكرتيرة جيدة، ولكن ينقصها المزايا الضرورية لكي تكون زوجة لي! فهي لا تعرف ان تعد الخبز على موقد

قديم... ولا تعرف كيف تشق طريقها الى قلبي ورأسي...».

«ورغم ذلك، انت لص كبير» قالت له بدلال وهي تلامس شفتيه «لقد كنت اعلم ذلك منذ البداية».

«لم اسرق شيئاً في حياتي» قال لها بحدة.

«اوه، بلى، سرقت حبي... قلبي... وعقلي...».

www.elromancia.com